

روائع المسحح العالمى

٦٧

المحارات والنجوم

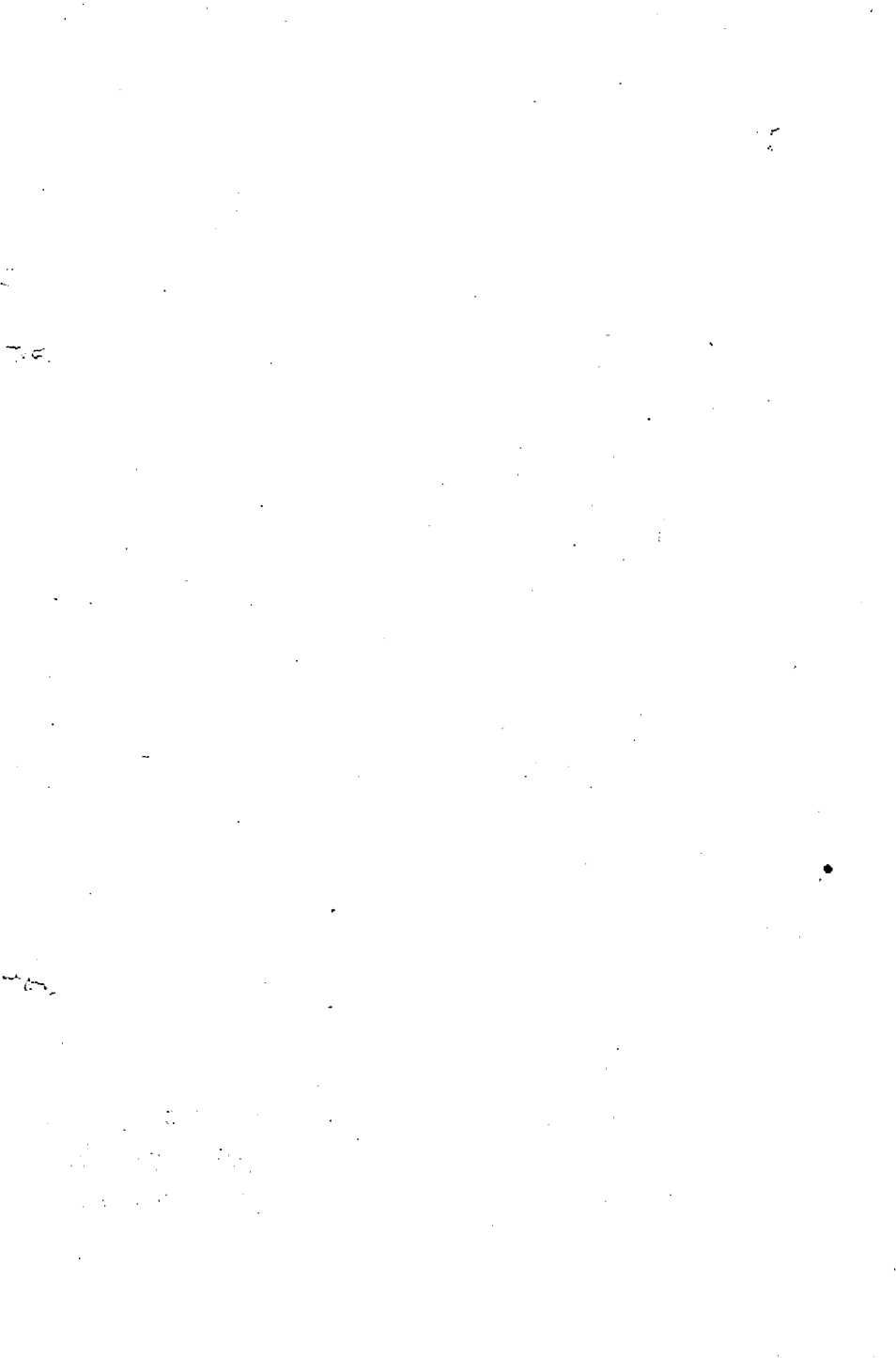
تأليف : شون أو كيسى

ترجمة : فوزى العنتيل

مراجعة وتقديم : الدكتور عبد الله عبد الحافظ متولى

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والانتاج والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

فشر الله للصغير
مخرج اذاعه



مقدمة

قبل أن تتصدى للكلام عن مسرحية « المحرث والنجوم » علينا أن نشير في ايجاز الى بعض الجوانب الهامة في حياة أوكيسى وفنه عليها تلقى بعض الضوء على أعماله الدرامية عامة ، وعلى مسرحيتنا هذه خاصة .

حياة أوكيسى :

ولد أوكيسى في ٣٠ مارس سنة ١٨٨٠ في مدينة دبلن بايرلندا من أم وأب فقيرين ، أنجبا ثلاثة عشر طفلا كان شون أصغرهم . في السادسة من عمره مات أبوه ، وربته أمه على المذهب البروتستنتي وسط غالبية كاثوليكية . وكان هذا ، الى جانب الفقر والحاجة ، عاملا نفسيا هاما ترك أثره في الطفل وبذر فيه روح التمرد على الأوضاع في ذلك الوقت .

وازدادت حالة هذه الأسرة الكبيرة سوءا بعد وفاة عائلها فعاشت في فقر مدقع في أحد المساكن الشعبية في دبلن وكانت هذه البيوت أشبه بمقابر للأحياء لقذارتها والأمراض المتفشية فيها . ولسوء حظه أصيب شون بمرض في عينيه كاد يؤدي به

الى العمى مما جعله يتجنب الضوء لفترة طويلة مكتفية
بالأركان المظلمة .

ولئن تركت هذه السنين الأولى من حياة شون أثرا بالغاً
على جسمه وعقله فانها كانت مقدمة لأيام أشد حرماناً ومرارة .
فعندما بلغ الخادية عشرة من عمره كانت ايرلندا تمر بحقبة
مريرة من تاريخها اذ كانت ترزح تحت عبء حكم بريطاني مستبد
فرأى الفتى الزعيم الايرلندى « بارنل » يستشهد نتيجة خيانة
مواطنيه من عملاء الانجليز . وشعر شون بالخيبة كما شعر غيره
من الايرلنديين الذين كانوا يرون في « بارنل » منقذاً من نير
الاستعمار البريطاني .

ولم تمض سنين عديدة حتى جاء الزعيم العمالي جيم لاركن
الذى نادى برفع مستوى الطبقة العاملة التى كانت تعيش
وقتذاك فى ضنك وبؤس وحرمان . وكان سعى « لاركن »
الدائب يتركز فى توحيد صفوف العمال واصلاح حالهم فكون
نقابة لهم فى سنة ١٩٠٩ سرعان ما أصبح شون عضواً نشطاً
فيها . ولقد أهّله للانضمام اليها تنقله بين عديد من الأعمال
فقد عمل كناساً ، ثم حمالاً ، ثم عاملاً فى الميناء . ولقد أسهم
شون فى تنظيم اضراب العمال فى ١٩١٣ هذا الاضراب الذى
تصدت له الكنيسة ودمغته بالابتعاد عن روح الدين مما أدى

الى فشله آخر الأمر . وعلى الرغم من هذا فان الحركة العمالية في ايرلندا بدأت تتخذ مظهرا قويا ، كما أن تصدى البوليس لتشتيت المتظاهرين دفع بالعمال الى تكوين « جيش المواطن الايرلندى » الذى كان منوطا به حماية العمال المضربين من هراوات رجال الشرطة . ولقد لعب هذا الجيش العمالى دورا فعالا فى تحرير ايرلندا . وكان لنشاط أوكيسى أثر فى تعيينه سكرتيرا لهذا الجيش تحت قيادة لاركن .

ولكن قبل أن ينضم « شون » الى الحركة العمالية اكتشف الفتى الذى لم يذهب الى مدرسة قط بل علم نفسه بنفسه ، اكتشف كاتبين كان لهما أجمل الأثر على فنه وحياته . فعندما بلغ سن العاشرة استهوته الدراما والتمثيل وكادت الفرصة تسنح له بتمثيل دور هنرى الرابع فى مسرحية شيكسبير المسماة بنفس الاسم ، والفضل فى هذا يعود الى أخيه أرشى الذى كان عضوا نشطا فى فرقة تمثيل للهواة . ولقد حفظ شون دور هنرى الرابع وأخذ يلقيه على أفراد عائلته ، ولكن لسوء الحظ ألغيت الحفلة . وظل الاخوان يمثلان مشاهد من المسرحيات معا حتى جاءت الفرصة لشون وهو فى الخامسة عشرة من عمره ليمثل دور الأب رولان فى مسرحية ديون بوسيكولت المسماة « شوجرون » . وكان شيكسبير

وبوسيكولت الكاتين المفضلين لدى فرقة الهواة للتمثيل في
حي تاونزاند . وان كان الكاتب الايرلندي ديون بوسيكولت
يعد من الدرجة الثانية الا أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة وقتذاك
اذ كتب واقتبس ما يقرب من مائة وخمسين مسرحية ، وكانت
أعظم أعماله ما يدور حول وطنه ايرلندا .

والى جانب هذين الكاتين قرأ شون لديكنز وسكوت
وبلزأك وبيرون وشيللى وجولد سميث وشيريدان بمساعدة
أخته ايزابلا التى كان لها فضل كبير فى تعليمه وثقيقفه .
ولم يقتصر نشاطه فى هذا الميدان على هذا ، بل انه كان يتابع
فى شغف واهتمام نشاط ليدى جريجورى وريتنس وادوارد
مارتن وغيرهم ممن أسهموا فى خلق نهضة مسرحية قومية ،
وأقاموا مسرح الأبي المشهور .

الا أن هذا الجانب الأدبى لم يكن طاغيا على أفكار شون
اذ كان لا يزال أكثر التصاقا بحركة لاركن العمالية . وهنا كان
الطريق شائكا أمامه ففى نوفمبر ١٩١٣ أى بعد شهر واحد من
تكوين جيش المواطن الايرلندي تكون « جيش المتطوعين
الايرلنديين » من أفراد من الطبقة المتوسطة جلهم تجار
وموظفون . ونظرا لاختلاف تكوين وأهداف هذين الفريقين ،
نشأت منافسة حادة بينهما ، وأخذ الجيش الجديد يغرى أفرادا

من جيش المواطن بالانضمام اليه . ولقد قاوم شون هذا الاتجاه التخريبي وطالب بإبعاد سيدة كانت عضوا في الجيشين في وقت واحد . وعندما خذلت الأغلبية استقال على الفور . وسرعان ما بدأ التوازن في اهتماماته يميل نحو الجانب الأدبي ففي سنة ١٩١٨ بدأ شون يرى كتاباته تأخذ طريقها للنشر ، هذا اذا استثنينا ما نشر له من مقالات في الصحف العمالية . فظهرت له « أغاني النسر » ، وفي نفس السنة نشر « قصة توماس آسن » أحد شهداء ثورة عيد الفصح ، ثم نشرت له « قصة جيش المواطن الايرلندي » وهي تاريخ لنشأة وتطور الأحداث في ايرلندا حتى ثورة عيد الفصح في ١٩١٦ . ولقد تقاضى نظير هذا الكتاب مبلغ خمسة عشر جنيها . ولم يفرح لهذا المبلغ الذي بدا ضخما كبيرا بالنسبة له اذ عاجلت المنية والدته وكانت هذه ضربة قاصمة لمشاعره اذ تفككت أواصر الأسرة فابتعد شون عن أخيه العريد ميخائيل ، وماتت أخته ايزابلا وأخوه توم ، وهاجر أخوه آرشي الى انجلترا ، وهكذا ترك وحيدا في سن الأربعين .

وهنا عزم شون على أن ينال الهدف الذي تصبو اليه نفسه ألا وهو كتابة مسرحية تمثل على مسرح الأبي في دبلن . ولكن هذا الأمل لم يتحقق الا بعد أربع سنوات من الجهد ،

وثلاث محاولات لم يصبها النجاح لركافة بنائها المسرحى تمثلت فى مسرحية « زهرة فى الصقيع » و « عيد الحصاد » و « اللون القرمزى » ، والعلم المثلث الألوان » . ورغم فشل هذه المسرحيات الا أنها كانت توحى بإمكانيات طيبة لهذا الكاتب الذى برز من بين الطبقة العاملة ، وكانت ليدى جريجورى تشجعه كثيرا ، كما أخذت هى وبيتس ، تحثانه على تركيز جهوده فى الكتابة عن سكان الأزقة والأحياء الشعبية الذين يعرفهم حق المعرفة .

وهكذا حظى شون وهو فى سن الثالثة والأربعين ، بأول نجاح له كمؤلف مسرحى عندما قدم مسرح الأبي عام ١٩٢٣ مسرحيته « خيال مقاتل » التى بدا فيها أثر ديون بوسيكولت فى المواقف الفكاهية والميلودرامية ، وتأثير شيكسبير والانجيل على أسلوبه ، وتجلت فيها حيوية دفاقة وتوازن رائع بين عناصر الملهاة والمأساة ، كما بدأ تجريب أسلوب مستمد من أحاديث سكان الأحياء الشعبية فى دبلن . لقيت هذه المسرحية نجاحا فى المدة القصيرة التى عرضت فيها على خشبة مسرح الأبي اذ انها استمرت ثلاثة أيام فقط لأن مديرى المسرح كانوا يتهيئون من تقديم مسرحية لكاتب غير معروف لمدة طويلة ولهذا كان نصيب شون أربعة جنيهات فحسب .

وكان على شون أن ينتظر عاما آخر حتى يكسب مبلغا أكبر وذلك عندما عرضت مسرحيته التالية « جونو والطاووس » التي استمر عرضها أسبوعين وكان الناس يتزاحمون في طوابير طويلة أمام مسرح الأبي أملا في مشاهدتها ، وقد أعجب بها يتس وليدى جريجورى أيما اعجاب ، ونال شون منها ٢٥ جنيها كانت كفيلة بأن تدفعه للاستقالة من عمله كعامل للطرق وقتذاك ، وتجعله يكرس حياته للعيش من قلمه .

وبعد كتابة مسرحيتين من ذات الفصل الواحد عرضت في ١٩٢٦ مسرحيته التي هزت أرجاء أيرلندا ، أعنى بها « المخرات والنجوم » التي استقبلها الجمهور استقبالا صاخبا استدعى تدخل البوليس ، وذلك لأنها عالجت في تهكم وسخرية موضوعات كان التصدى لها محرما ألا وهى الدين والجنس والوطنية ، ففى هذه المسرحية التى تدور حول أحداث ثورة عيد الفصح ١٩١٦ بدا عطف شون واضحا نحو الضحايا المساكين الذين يعيشون فى الأحياء الشعبية ، وجروء على أن يدخل العلم الجمهورى فى حانة من الحانات ، كما صور فتاة أيرلندية كعاهرة . انه لم يقدم للجمهور أيرلندا على أنها « كاثلين فى هوليهن » الملكة الجميلة التى تحمل القيثارة وتجول فى الروابي الخضر ، انه صور الأحياء الشعبية على

حقيقتها ، بما فيها من قذارة وفقر وحرمان . لهذا ثارت ثائرة جماهير النظارة وملأوا المسرح بالضجيج والعيول والصفيح ، كما ألقوا بالكراسى والأحذية على خشبة المسرح ، بل ان بعض المشاهدين صعد وأمسك بتلابيب الممثلين مما أدى الى اسدال الستار واستدعاء البوليس ، وقيام بيتس خطيبا يهدى الجمهور ويعيره فى الوقت نفسه على هذا المسلك الشائن .

وكانت هذه الليلة أشبه بناقوس الخطر الذى جعل شون يعزم على الهجرة من بلده ، كما فعل الكاتب الروائى جيمس جويس من قبل . وزاد من تصميمه أن الأمر لم يقتصر على غضب جمهور النظارة ، بل تعداه الى الصحف التى نددت بالمسرحية بقسوة وعنف . وعلاوة على هذا ، فإن شون كان يشعر بأنه غريب على جو المسرح اذ أنه كان ينظر اليه على أنه العامل الذى برز فجأة من بين الأزقة . وهكذا شد شون الرحال فى صيف ١٩٢٦ حتى يعيش حرا فى حياته ، حرا فى قلمه فسافر الى انجلترا حيث تعرف بشو ، وغيره من الكتاب ، وأخذ يشق طريقه بخلق مجد مسرحى متعدد الأساليب والألوان . ورغم تركه لبلاده فإن شون لا يزال يدين بظهوره كمؤلف مسرحى لمسرح الأبي فوعد بارسال مسرحيته التالية « الكأس الفضية » الى بيتس وليدى جريجورى . وعندما رفضت

المسرحية ، كان هذا بمثابة آخر علاقة له بهذا المسرح الدبلنى .
ان ترك شون بلاده لا يعنى كراهيته لها ، بل ان حبه
العميق لوطنه كان يكمن وراء ثورته العارمة ضد ما كانت
تعاينه من فقر وبؤس وجهل . لقد عاش بعد ذلك غربيا عن
بلده لمدة تناهز الثمانية والثلاثين عاما ، باستثناء ثلاث زيارات
قصيرة فى أول الأمر . واستقر به المقام فى مدينة توركى فى
مقاطعة ديفون فى الجنوب الغربى من انجلترا حتى وافاه الأجل
اثر نوبة قلبية وهو فى الرابعة والثمانين من عمره ، فى سبتمبر
سنة ١٩٦٤ . مات شون وحب بلاده يجرى فى دمه رغم البعاد ،
اذ أنه حب صادق قوى ظاهر للعيان لكل من يقرأ مسرحياته .
ولا غرابة فى أنه قال ذات مرة « اتنى أعرف قلب ايرلندا لأننى
أحد أركانها . اتنى أعرف حواس ايرلندا الخمس لأنها جزء
لا يتجزأ من كيانى ، فهمى تدفعنى للنظر ، وعندما أنظر أرى
الكثير ، وتدفعنى للانصات ، وعندما أنصت أسمع الكثير » .
تطور فنه المسرحى :

ان فن أو كيسى يعتمد على مبدأ التزمه فى مسرحياته فهو
يضحك القراء ويبيكيهم فى آن واحد ، وهو يدفعهم الى التفكير
بعمق ، والشعور بعمق بمشاكل مواطنيهم خاصة والانسانية
عامة ، ولقد وجد فى معين خبراته العاصفة بين الأزقة والحوارى

الشعبية في دبلن مادة خصبة لموضوعاته . فالدراما في رأيه لا بد وأن تقص قصة مثيرة لشخص يكون لصراعاتهم وأزماتهم بريق وهدف ولهذا فهو يستعين بكل عناصر الفكاهة والاثارة ، فهو يستخدم بعض عناصر الملهمة الصاخبة ، وملهمة النقد الساخر ، والميلودراما ، و « الميوزكهول » . ولا بد اذن من مزج عناصر الملهمة بالمأساة لتغوص المسرحية في مشاكل الانسانية المعذبة فالضحك الذي يثيره غالبا ما يترنح على حافة البكاء .

ففي مسرحياته الثلاث الأولى « خيال مقاتل » (١٩٢٣) و « جونو والطاووس » (١٩٢٥) ، و « المحراث والنجوم » (١٩٢٦) نراه يصور لنا البطولة الزائفة التي يتشدد بها بعض الناس دون تدبر لما قد تجلبه من عذاب ودمار على غيرهم . فهذه المسرحيات الثلاث تندد بالحرب وشرورها كما بدت في الحرب الأهلية الايرلندية ، « فخيال مقاتل » تدور حول القتال الذي دار رحاه بين الجيش الجمهوري الايرلندي والجيش الانجليزى في ١٩٢٠ ، و « جونو والطاووس » تدور حول الحرب الأهلية في ١٩٢٢ . أما « المحراث والنجوم » فتقع حوادثها ابان ثورة عيد الفصح ١٩١٦ . ففي المسرحية الأولى يتورط في الحرب شاعر حالم ، وفي الثانية تتورط عائلة برمتها ، وفي الثالثة تجرف الحرب كل سكان الأزقة والأحياء الشعبية .

وفي هذه المسرحيات الثلاث تدور الأحداث حول أوهام
بطولية ففى « خيال مقاتل » يعتقد جاك داقورين أنه شاعر
ملهم ، ويظن جيرانه أنه شاعر ومقاتل . وتبدو الحقيقة فى
النهاية بأنه خيال شاعر وخيال مقاتل . انه لا يعرف كنه ذاته ،
وهو ينفس فى الأوهام التى تؤدى آخر الأمر لموت منى پاول
الحبيبة التى كان يرى فيها هيلين طروادة . ان هذا الموت
المفجع هو الذى يجعله يرى حقيقة نفسه وينزل عن أحلامه
وأوهامه . ولم يكن يدرك حقيقته سوى المهرج سيوماس الذى
يصيح قائلاً :

« أتمنى من الله أن تنتهى الحرب . لقد أصاب الناس مس
هن الجنون » .

وفى مسرحية « جونو والطاووس » تدرك جونو قدسية
الحياة أكثر من ادراكها لشعارات جوفاء ، فعندما يتباهى ابنها
الذى أصبح كسيحاً وفقد ذراعه فى الحرب الأهلية سرعان
ما تعبر عن رأيها قائلة :

« آه ، لقد فقدت أحسن مبادئك ، يا بنى ، عندما فقدت
ذراعك . انها المبادئ الوحيدة التى لا غنى لعامل عنها » .
ان جونو ترى الحياة فى نطاق خبز على المنضدة ، وجب

في القلب ، هذه هي الوقائع الوحيدة التي تفهمها وتناضل من أجلها دون التشدد بالبطولات . وعندما تفقد ابنها في النهاية تصرخ معبرة عن شعور الأم الشكلى في دعاء حزين .

« يا رب خذ هذا القتل الكريه ، واعطنا حبك الأبدى » .
وفي مسرحية « المحراث والنجوم » يضحى الرجال من أجل مبادئ لا يدركون مدلولها بينما تكذب النساء وتشقى من أجل لقمة العيش . ففي الفصل الثانى من هذه المسرحية نرى القومندان كليثيرو ورفيقه يشربون نخب الحرب بعد سماع خطبة رثانة وهنا يعبر أوكيسى عن شعورهم بعمق عندما يقول فى الارشادات المسرحية « انهم يتكلمون بسرعة كما لو أنهم لا يدركون معنى ما يسمعون . لقد استولى عليهم حماس الخطب » . ورغم قولهم هذا فالأمهات والزوجات لهن رأى مخالف ، انهن يكرهن الحرب وويلاتها وشروورها .

ان هذه النظرة التراجيدية يخفف من حدتها العنصر الكوميدي الذى يتخلل هذه المسرحيات ، فكل شخصية تراجيدية لها ما يقابلها من عالم الكوميديا ، فداقورين فى مسرحية « خيال مقاتل » يقابله المهرج سيوماس ، والطاووس يقابل جونى فى « جونو والطاووس » وبيسى بيرجس « فى المحراث والنجوم » تقف وجها لوجه مع نورا . ويقابل أبطال

هذه المسرحيات كذلك جمع غفير من السكارى ، والمهرجين
والجبناء ، والطفوليين ، وشامخى النفوس ، فقى « خيال
مقاتل » هناك تومى أوز ، مستر ومستر جريجسون ، مستر
ماليجان ، وغيرهم ، وفى « جونو والطاووس » هناك جوكره
ماس ماديجان ونيدل وآخرون ، وفى المحراث والنجوم ، هناك
فلوثر ، ويشر ، والكوفى ، ومستر جوجان ، وروزي . وسط
هذا الجمع الزاخر من الشخصيات الكوميدية لابد وأن تسود
الروح الكوميدية وتحفظ المسرحيات والشخوص من أن
تستبد بهم روح اليأس والقنوط ، فوسط هذا الجو الضاحك
لا مكان لليأس من الحياة .

ومن بين هذه الشخصيات الكوميدية تبرز شخصية ساخرة
لا تدرك من حقيقة ذاتها الا ما تراه ملائما لراحتها ، كما نرى
فى شخصية المهرج سيوماس فى « خيال مقاتل » ، والكابتن
بويل فى « جونو والطاووس » ، وفلوثر جود فى « المحراث
والنجوم » . ان هذه الشخصيات نموذج مصغر لشخصية
فولستاف الشهيرة ، فالكابتن بويل يتمتع كفولستاف بروح
الفكاهة ، والميل الى الكذب والادعاء ، والرغبة فى النجاة
بنفسه ، والانغماس فى الملذات دون حرج أو مبالاة . ومثله
مثل فولستاف ، هذه الشخصية الشيكسبيرية الشهيرة ، فى

احتقار شأن الفضيلة والمتمسكين بأهدابها . فالكابتن بويل
يترك زوجته تكد وتشقى لتنفق على لوازم البيت بينما ينغمس
هو في ملذاته من شرب ومرح في رفقة عرييد آخر يلعب
جوكسر ، وعندما يطلب منه أن يعمل يئن ويشكو بأن قدمه
تؤلمه وأن الناس قساة غلاظ القلب لا يرحمون رجلا مسنا
مثله . وهو يتمادى في ادعاءاته الكاذبة عن أعمال بطولية
خارقة قام بها وهو شاب يقطع البحار ويجوب الآفاق وهو
لم يقم في حقيقة الأمر ، الا برحلة في سفينة فحم من دبلن
الى ليقربول !

بعد هذه المسرحيات الثلاث التي تدور حوادثها في المساكن
الشعبية في دبلن والتي يعدها معظم النقاد أروع ما كتب ، بدأ
شون أوكيسى يجرب أساليب مسرحية أخرى ، فكتب « الكأس
الفضية » ، التي رفضها مسرح الأبي ١٩٢٨ ، في أسلوب
تعبيري رمزي . وتدور حوادثها حول أحداث الحرب العالمية
الأولى فهي ترتبط من حيث المضمون بالمسرحيات السابقة
في التنديد بالحرب وأهوالها وان تعدى أوكيسى حدود دبلن
الى العالم الرحيب .

بعد مسرحية « الكأس الفضية » كتب أوكيسى أربع
مسرحيات ترتبط بعضها ببعض في تصوير أحداث العالم

وقتذاك مبتدئاً بالكساد الاقتصادى الذى ساد العالم فى الثلاثينات من هذا القرن ، ومنتهياً بالحرب العالمية الثانية وهى « بين الأبواب » (١٩٣٣) « احمرار النجوم » (١٩٤٠) « ورود حمراء من أجلى » (١٩٤٢) و « أوراق البلوط واللوندة » (١٩٤٦) . انها مسرحيات أخلاقية ترتبط بالكأس الفضية فى أسلوبها الرمزي التعبيرى فالشخص رمزية تصور معاني وأهدافا فى الحياة ، وكلها تنادى بالحياة الحرة الطليقة وسط عالم تحيطه شتى ضروب الفوضى والدمار .

وان كانت المسرحيات الأربع السالفة تعد مسرحيات أخلاقية فهى فى الوقت نفسه ذات معين فياض من الفكاهة والتسلية . بعدها بدأ أوكاسى يعكس الوضع . فيكتب ملاهى فكاهية وان كانت فى الوقت عينه معينة خصيبا من النزعة الأخلاقية الرمزية فهى ملاءة نقدية ساخرة تعبر عن احتفاء وتقدير للحياة عن طريق خلق عديد من المواقف الفكاهية بقصد الإشارة الى طريقة مثلى للحياة . ففي المسرحيات الأربع التالية « التراب الأرجوانى » (١٩٤٠) و « الديك » (١٩٤٩) و « نار سمر الأسقف » (١٩٥٥) و « طبول الأب ند » (١٩٥٨) اتجه أوكاسى اتجاهها جديدا فان كانت التراجي كوميدي التى جربها فى المسرحيات الأولى تتضمن شخصية تتهم على البطولة

الجوفاء وتؤكد في الوقت ذاته إيمانها بالوطن ، فإن المسرحيات التي تلت ، تعبيرية رمزية تعبر عن احتجاج أخلاقي على الفوضى التي ضربت أطنابها في الحياة وقتذاك ، وفي هذه الملاحى الأخيرة استخدم أوكيسى أسلوب السخرية والخيال ليستمر في احتجاجه بطريقة فكاهية أكثر نضجا وبتجربة تقنية أخرى .

وترتبط هذه المسرحيات الأخيرة بعضها ببعض من حيث الموضوع أيضا فهي تصور العالم كما هو كائن وتشير الى ما يجب أن يكون عن طريق مواقف فكاهية متعددة الأساليب مستخدما فيها عناصر من ملهات الأخطاء ، والملهات الساخرة ، و « الميوزكهول » والملهات الخيالية ، والسيرك ، وملهات النقائص محاولا جمع هذه الأنماط الفكاهية في وحدة متكاملة كما فعل في التراب الأرجوانى ، والديك . وتقع حوادث كل هذه المسرحيات في قرى إيرلندية خيالية ، وإن كانت تزخر بطرق وشوارع واقعية . ويربط هذه المسرحيات كذلك معالجة نقائص وعيوب إيرلندية وإنجليزية ، وإن تعلت بالفعل الى نقائص إنسانية عامة ، وتهدف جميع تلك المسرحيات الى السعى الدائم وراء الحرية والسعادة .

وعلى الرغم من هذا التجريب المستمر فى التكنيك فإن أوكيسى سعى دائما الى تأكيد معان إنسانية أصيلة متهمكا

على الأوهام الزائفة ، والتقاليد البالية ، والفقر والحرب
وما يجراه من خراب وويلات ، مناديا على الدوام بحرية
الانسان وسعادته والسعى الى تهئية عالم أفضل تسوده الرفاهية
والسلام والرخاء والحب .

مسرحية « المحراث والنجوم » :

تدور حوادث المسرحية أثناء ثورة عيد الفصح عام ١٩١٦
وهي ثورة قام بها الايرلنديون ضد القوات الانجليزية المحتلة ،
وكان هناك جيشان يعملان على تنظيم صفوف المقاومة
الشعبية . جيش المواطن الايرلندي وجله من العمال ، وجيش
المتطوعين ، ومعظمه من الطبقة المتوسطة . ولقد بلغ من شدة
المقاومة الشعبية أن اضطر الانجليز الى دك كثير من مباني
دبلن بالمدافع فألهبوا النيران وهدموا مكتب البريد والقنادق
وتنتهى المسرحية ودبلن مشتعلة برمتها .

وتحت لواء المقاومة الشعبية ينخرط بطلنا العامل النجار
كليثيرو الذى يرتقى فى صفوف جيش المواطن الايرلندي حتى
يعين قومنداناً ، والكابتن برنان الذى يعمل أصلاً جزار فراخ ،
والملازم لانجون — لقد استهوت أوهام البطولة هؤلاء الثلاثة
فنسوا بيوتهم وعائلاتهم وغامروا بحياتهم متشدقين بألفاظ
جوفاء سمعوها من الخطباء فهم نماذج لهذا النفر من الرجال

الذين يتعلقون بأهداب أوهام وهم ليسوا أهلا لها . فما هي تلك نورا تقول لزوجها جاك عندما أصر على الذهاب غير مبال بتوسلاتها :

(متشبثة بكليثيرو ، ومشيرة لبرنان) . انظر يا جاك ، انظر الى الغضب الذى فى وجهه ، انظر الى الخوف الذى يلتصق فى عينيه .. هو نفسه خائف ، خائف ، خائف ! انه يريدك أن تذهب بالطريقة التى يحتمل معها أن يصيبك الموت ويخطئه هو ! .. التفت وانظر اليه يا جاك ، انظر اليه ، انظر اليه ! .. ان أعماق روحه باردة ترتعد من التفكير فيما قد يحدث له .. ان خوفه هو الذى يحاول أن يفزعك ويقف حائلا دون ادراكك الخوف الذى يعتمل فى قلبك أنت ! » .

هم اذن أناس صغار يتصدرون لمواقف أكبر منهم — حتى كليثيرو نرى أوكيسى يصفه منذ البداية على انه « شاب طويل قوى البنية فى الخامسة والعشرين من عمره . ليس فى وجهه شىء من العزم الذى فى وجه نورا ، ان وجهه فيه الرغبة فى السلطة دون القدرة على نيلها » .

هذا الرجل الذى كان يتمنطق سيفه ويرتدى الزي العسكرى فى خيلاء سرعان ما قر فى بيته وهجر جيش المواطن عندما لم يعينوه قائدا . انه لم يهجره لتحويله عن مبادئ الدفاع المقدس ، بل لغرض شخصى صرف . وعندما يحمل برنان اليه

خبر تعيينه قائدا يعود الى صفوف جيش العمال هذا ويدفع زوجته بعيدا عنه عندما تتوسل اليه بالبقاء الى جوارها ، وهنا تصيح الزوجة محذرة « ان غرورك سيصبح دمارا لك ولى من بعد » .

أما الكابتن برينان فلا ندري عنه سوى انه حمل الرسالة لجاك كليثيرو ونراه يلبس حلة عسكرية خضراء وحول وسطه حزام سام براون . هذا الشاب لم يستطع أن ينال حب نورا قبل زواجها من جاك لأنه على حد قولها « على شيء من الغباء » . ان برينان لم يفعل شيئا لانقاذ صديقه وزميله في الكفاح جاك كليثيرو عندما أصابته رصاصة في ذراعه ثم في رئتة :

« لم أستطع أن أفعل شيئا من أجله .. سوى مراقبة تنفسه يتردد في لهثات سريعة مرتجة ، وخيط رفيع من الدم يسيل من فمه على شفته السفلى .. تلوت صلاة الميت ثم طويت مسيحته حول أصابعه ثم اضطررت أن أتركه لأنقذ نفسي » .

عندئذ ترد عليه ييسى بيرجس مؤنبة :

« لقد تركته ! طويت مسيحته حول أصابعه ثم عدوت

كالأرنب لتنجو من الخطر ! » .

هذا الرجل لا يهمه الا النجاة بنفسه من الخطر . حتى

عندما أتى ليبلغ نورا نبأ وفاة زوجها وآخر رسالة له ، أخذ يتوسل في خوف لكي يختبئ في شقة بيسي بيرجس : « على أن أغتسم الفرصة واستتر هنا ، وأحاول أن أختبئ بعض الوقت » .

فإرد عليه الكوئى بأنه لا يوجد مكان للاختباء فالجنود سيدخلون في أية لحظة .

أما الملازم لانجون فتراه جريحا يئن ويتوجع ويندم لأنه لم يحاول الهرب :

« لو أتى فقط ظللت راقدا فترة أطول فلربما كنت لم أصب ! ، لقد هرب كل انسان ، ولكننى شعرت بأن بطنى تمزق الى شطرين .. لم أستطع أن أصرخ ، لم أستطع حتى أن أصرخ .. هل تظن أتى حقا قد جرحت جرحا بالغا ، يا بل ؟ ثيابى تبدو وكأنها مبتلة جدا .. انه دم .. يا الهى ، لا بد أنه دمي أنا !!

هذه الشخصيات الثلاث بعيدة كل البعد عن معدن البطولة الأصيل ، انهم أشباه أبطال يتشدقون ببعض الشعارات التى لا يدركون معناها وتتملكهم حالة من الاتفعال العاطفى كلما سمعوا خطبة حماسية رنانة . ان هؤلاء الناس يحاولون الهروب من واقع حياتهم المرير الى التعلق بأوهام لا قبل لهم بها .

إن حياتهم بما فيها من فقر وبؤس تدفعهم دفعا الى التحليق في آفاق الأحلام ، وعندما يفيقون الى أنهم صغار النفوس تتبدد أوهامهم بعد أن يجلبوا الدمار والخراب لبلدهم وعائلاتهم ويوتهم .

يحيط بهذه الشخصيات جمع غفير من النماذج الكوميدية التي تثير الضحك الصاخب أحيانا ، والسخرية المرة أحيانا أخرى . فالعم بيتير « رجل ضئيل نحيف له وجه يشبه شكل الماسة ذو لحية خشنّة متناثرة لونها أبيض متسخ وأصفر فاصل ، وتكسو وجهه على الدوام كآبة ظاهرة مختلطة بتحد كما لو كان كل انسان في حالة حرب معه ، وهو في حالة حرب مع كل انسان » . يبدو العم بيتير لأول وهلة وهو مرتبك عاجز عن لبس قميصه ، ويدعو الله أن يلهمه الصبر على هذه البلوى « يا الهى ألهمنى الصبر مع هذه الياقة ! » وهو في هذا الارتباك يهرع الى النظر الى صورة امرأة عارية ويضحك ويقهقه من كل قلبه . ومواقفه ومعاركه مع الكوفى تثير الضحك دائما فالأخير يستغل دائما ضعفه فيغمره ويلمزه سواء بالنظرات ، أو بالاشارات أو الصفيير أو الغناء . فها هو الكوفى يغنى من ثقب الباب :

يا قيثار بلدى العزيز ، فى الظلام وجدتك

حلقة السكون القائمة قد رانت عليك طويلا

فيثور بيتر « يا يسوع ، أسمع ذلك ! أسمع يطلق أغنيته
الشرطانية الاستفزازية ! .

هو رجل أبله يتمسح بالدين ليصب لعناته عندما تثار ثائره
وسرعان ما تثار وهو شخص ضعيف لا حول له ولا قوة فهو
يخرج لحضور الاجتماعات بحلة فضفاضة كان يلبسها عندما
كان عضوا في إحدى الجمعيات الخيرية ، ومعه سيف يلوح به
في الهواء ولا يفعل به شيئا ، انه لعبة أطفال في يده كما تقول
نورا . وهو رجل جبان فعندما تشتد الأزمة يشور في وجه امرأة
استنجدت به لتوصيلها الى مسكنها في حي راثماينز بدبلن .
ان أو كيسي يستغل نقطة الضعف فيه لتثير الضحك كما نرى
عندما تترك مسز جوجان طفلها بين يديه بين سحرية الحاضرين
وغمزاتهم وبين صيحاته وصراخه . ثم عندما يخرج الجميع
لينالوا حظهم من نهب المحال التجارية يقبع بيتر في المنزل . انه
شخص يغطي عجزه بالصياح والشكوى من الجميع فالكمل في
نظره قد تأمر على معاكسته ومشاكسته ولذا فهو يطر عليهم
اللعنات الأبدية . ان العم بيتر نموذج للسلبية الحقة في كل
شيء والعجز حتى عن ربط ياقة قميصه .

أما الكوفي فهو نمط من الأنماط التي استهوتها النظرية

الماركسية ، فهو يحفظ كلمات دون ادراك مدلولها مشتقة من كتاب « بحث في نشأة ، وتطور وتدعيم الفكرة التطورية للبروليتاريا لچينيرسكى . هو اذن نمط لشخصية يسيطر عليها جانب واحد سواء في تفكيرها أو عملها فهو مثلا لا يرى في ثورة عيد الفصح شيئا مفيدا ولا يرى الا حرية واحدة جديرة بالكفاح » ليس هناك سوى حرية واحدة بالنسبة للعامل : السيطرة على وسائل الانتاج ، وسعر العملة ، ووسائل التوزيع » . وعدا هذا يعد في نظره عبثا في عبث ، حتى ان روزى العاهرة أثارت الضحك لموقفه الجامد ومحاولتها اغراءه دون جدوى فقد تملكه أخيرا فزع غريب عندما أخذت تدغغه وتناغشه . فالاهتمامات العديدة للحياة لا تهمة ، بل تفرغه ، فهو اذن شخصية مقفلة اذا تصدت للحياة وواقعها أثارت فينا الضحك والسخرية . وعلى الرغم أن هناك اهتماما واحدا يسيطر على تفكيره . الا أن هذا يعد جانبا ايجابيا في شخصيته يرفعه عن مستوى العم يتر ويجعله ينتصر عليه دائما .

أما فلوثر جود فهو شخصية كوميدية ساخرة تتردد كثيرا في مسرحيات أو كيسى ولا تدرك من حقيقة نفسها الا ما يتمشى مع هواها ، هو أشبه بنموذج مصغر لشخصية فولستاف ، وهو قريب الشبه بالكابتن بويل في « جونو والطاووس »

فهو سكير عرييد يميل الى الادعاء والمغالاة فهو يتصدى
للكوفي مدافعا عن روزى :

« اذهب يا رجل ، بوسعى أن أضرب اثنين مثلك قبل
افطاري » وكثيرا ما يتصدى لمواقف لا قبل له بها فهو يتهم
الكوفي بالجهل ، وعندما يسأله الأخير عن الحركة العمالية
وغيرها يغطى جهله بالصياح والشجار .

ورغم هذا فهو شجاع مقدام شهم عندما يجد الخطب فهو
الذى يهرع وسط النيران ليعيد نورا الى بيتها ، وهو الذى
يقف مدافعا عن العاهرة روزى عندما أهانها الكوفي ، وهو
الذى يخاطر وسط أزيز طلقات الرصاص وقصف المدافع ليعيد
الترتيبات لدفن مولسر ، ولذا فان مسز جوجان تشى عليه
قائلة :

« لن أنسى أبدا ما فعلته من أجلى يا فلوثر بتجولك مخاطرا
فى ذلك بحياتك لتسوية كل شىء مع الحانوتى والمشرفين على
المدافن .. وبينما كان أهلى يخافون أن يخرجوا أنوفهم جازفت
أيها الرجل الطيب ، خلال أزيز الرصاص وهم يطلقون النار
على الطريق .. وسوف تجد أن مولسر ، فى المكان البعيد الذى
ذهبت اليه ، لن تنسى أن تهمس ، بين الحين والآخر باسم

فلوثر « . وكذلك تشيد بشهامته نورا وتدعوه رجلا يحق
لما فعله من أجلها .

ان فلوثر خليط من المتناقضات فهو بين النساء فارس
مقدام ، وبين الرجال مدع دائم الصياح والشجار والسكر ،
الا أن صياحه كثيرا ما ينتهى الى لا شىء فهو يبدأ مناقشات
لا قبل له بها ، ويقسم أنه لن يشرب الخمر أبدا ثم تراه مخمورا
يصيح بأعلى صوته « يحيا المتمردون » ، لتهو المدينة كلها
الى الجحيم من أجل فلوثر » ، ثم انه يدافع عن كرامة عاهرة
ثم تراه يذهب لقضاء الليلة معها .. ولما له من نقائص وفضائل
فراه يثير الضحك والسخرية ويقف متهمكا على المتشدقين
بالبطولة فهو وقت الحرب له من الفصاحة ما يبعده عن خطرها ،
كما أن له من الواقعية ما يبعده عن المثالية الوردية .

وراء هذه الشخصيات التراجيدية والكوميديية نرى النساء
فى هذه المسرحية يمثلن النظرة الواقعية فى الحياة فهن فى شغل
عن الأوهام بالسعى وراء تدبير أمور حياتهن . انهن ايرلندا
الحقة بفقرها وجهلها ومرضها ، وبالثورة التى كن يصطلين
بنارها . ورغم أن حياتهن أقرب الى الموت ، الا أنهن يتمسكن
بأهدابها ويحافظن على أشلائها . فمع قسوة حياتهن فى هذه
الأحياء الشعبية لا يقدمن الصورة المثالية التى كان ينادى بها

بعض الشعراء ، ألا وهو صورة إيرلندا الأميرة الجميلة التي
تحمل قيثارتها وتتجول في الروابي الخضراء . والنساء في هذه
المسرحية ، وسابقتها ، واقعيات بالضرورة لا هم لهن الا لقمة
العيش ، ولهذا فهن على نقيض تام من الرجال الذين يعيشون
في عالم الأحلام والأوهام ولهذا فالصراع بين الواقع الحى
والمثالية الوردية هو صلب المأساة التى تتخلل ثنايا المسرحية .
فنورا كليشيرو مثلا فتاة جميلة فاتنة تحاول أن تجعل شقتها
الفقيرة عشا سعيدا لحياتها الزوجية فهى تحب زوجها وتتفانى في
خدمته ولا تؤد شيئا في الحياة سوى قربه ، وكما تقول مسر
جوجان « لقد تعودا أن يكونا مثل يمامتين ، دائما في تقبيل
وغزل » ، فلا غرابة اذن أنها تكره انصراف زوجها عنها الى
جيش المواطن الايرلندى . ونورا تدرك زوجها حق قدره ،
فعندما أخبرها أنه ترك جيش المواطن الايرلندى ارضاء لها
تقول : « لقد تركته لأنك غاضب عندما لم يجعلوك قائدا ،
ولم يكن هذا من أجل خاطرى ، يا جاك . وعندما يدق الباب
ويدخل برنان حاملا رسالة لزوجها يستبد بها الخوف وتتوسل
اليه ألا يخرج ويجلب الدمار لها ولنفسه . ولكن جاك يعلم أنه
قد رقى الى رتبة قومندان فيستولى عليه الحماس ويتنطق
من جديد حزام سام براون ويخرج دون مبالاة بتوسلاتها .

ويجن جنون نورا عندما يتغيب زوجها وهي التي لا تطيق
البعد عنه ، فيمتلىء قلبها بالهواجس وتخرج للبحث عنه خلف
المتاريس ووسط طلقات الرصاص وعندما تعود بعد أن استبد
بها اليأس وتحت الحاح فلوثر تقول لمسز جوجان :

« لم أستطع أن أجده في أى مكان ، يا مسز جوجان ، لقد
قالوا لى اننى ألحقت العار بزوجى وبنساء ايرلندا باستمرارى
فى البحث عنه — قالوا ان النساء يجب أن يتعلمن الشجاعة
والكف عن الجبن .. أنا الذى خاطرت فى سبيل الحب أكثر
مما يخطر من أجل الكراهية — (ترفع صوتها فى احتجاج
متشنج) ان حببى جاك سوف يقتل ، حببى جاك سوف يقتل !!
لسوف يذبح كتضحية من أجل الموتى ! » .

ولما عاد جاك الى البيت برفقة برنان ولانجون تعلقت بأهدابه
وهى حامل متوسلة اليه :

« كلا ، لن أدعك تذهب ، أريدك أن تكون مخلصا لى ،
يا جاك ، أنا أعز رفيق لك ، أنا أخلص رفاقك .. انهم فقط
يريدون العزاء فى أن يلقوا بك فى نفس الحظ مثلهم ..

ولم يجد جاك كليثرو مفرا وسط غمزات رفيقيه من أن
يدفعها بشدة بعيدا عنه فتذهب الصدمة بطفلها الذى لم يكتمل
بعد ، وبضواها فتهدى كالمجنونة . وحتى فى هذيانها لا تتحدث

ألا عن حبيب فؤادها جاك فتتخيل أنها تعد العدة للخروج معه ، أو أنها تعد له الشاي ، وتردد الألحان التي كان يغنيها لها . وعندما يأتي خبر مقتله تكون قد فقدت الوعي تماما .
ان نورا فتاة تتمسك بالحياة في كنف زوجها ، وتكافح معه في سبيل العيش وفي سبيل بناء عش الزوجة السعيد ، فهي ضحية أوهام زوجها وأثر من آثار الدمار الذي أنشأ أنيابه في دبلن وقتذاك .

والشخصية النسائية التالية هي بيسي بيرجس وهي امرأة عاطفية سليطة اللسان لاذعة في نقدها وتهكمها إلا أنها واقعية في نظرتها الى ما يجري حولها من أحداث . هي بائعة فاخرة متجولة تكذب في سبيل لقمة العيش وتدرك معنى الفقر والحرمان فتسليتها الوحيدة هي الغناء بالترانيم الدينية والسكر في بعض الليالي لتحاول أن تنسى ما هي فيه من هم وبؤس فانبها يقاتل في بلجيكا مع القوات الانجليزية ، ولهذا تكره الحرب كراهية رقيقة :

« ان عاصفة من الغضب تضطرم في قلبي ، عندما أفكر في الجنود الانجليز المساكين ، ومعهم وحيدى .. مبتلين بالمياه وغارقين في الدماء يتحسسون طريقهم الى موت مدمر ، تحت وابل من القذائف ! شباب متوهج فيهم رغبة الحياة المشرقة ،

وقد أضجعوا أجسادهم البيضاء الممزقة في شرائح دامية ومهلهلة ، على المذبح الذى شيده الله نفسه ليضحي عليه الأبطال » .

وهى بهذا تنهكم على الكابتين برنان وكليثيرو ولا نجون :
« ان الصبية المغنين لا يشعرون براحة شديدة الآن . لقد أطارت المدافع كل القيثارات من أيديهم . ان الجنرال كليثيرو يفضل أن يفك مشد زوجته بدلا من الوقوف عند المتارينس .. والأستاذ فى ذبح الفراخ هناك يجد أنه يقف ضد شيء أشد خشونة من فراخه . وعندما يصبح برنان فيها بأن تسكت تقول له « اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة » .

ومع كراهيتها للحرب وشروورها ، فلا تنسى أنها أكثر شجاعة وإقداما من كثير من الرجال فى التى تغامر وسط انيران لتذهب لاجتماع طبيب لمولسر التى اشتد بها المرض ، وهى التى كانت دائما تعطيها اللبن والكلمة الحلوة الحنون .

وعندما تدك البارجة الانجليزية « هلجا » المدينة وتنتشر القوضى تجرى ييسى وسط النيران لتحمل بعض الأشياء المنهوبة من المحال التجارية من قبعات وحلوى ومظلات وأحذية — أشياء جميلة حرمت منها طول عمرها . هذا المنظر أثار كثيرا من النقد فى الصحف الايرلندية ، وان كان لا يخفى

الحقيقة بأن الحرمان من ضروريات الحياة كان الدافع وراء عملها هذا الذى لم تشذ فيه عن بقية سكان الأحياء الشعبية فى دبلن ، فسرعان ما تبعها الكوفى ، وفلوثر ، ومسز جوجان وغيرهم .

وتمثل مشاجرتها فى الحانة مع مسز جوجان جارتها اللدود ، ومشاجرتها معها على عربة أطفال لتذهب بها لتحمل بعض النفائس المنهوبة تهكما ساخرًا على القتال الذى كان يدور فى المدينة حينذاك ، فالمرأتان لا يهمهما ما يجرى خارج الديار من دمار وخراب . انهما يعيشان فى عالمهما الواقعى — عالم البيت الفقير — .

وتتطور شخصية بيسى بيرجس فى نهاية المسرحية فالكمل لا يجد ملجأ الا فى شقتها فوق السطوح ، وهى التى تتولى رعاية نورا بعد الصدمة التى أفقدتها وعيها فتغنى لها حتى تهدأ ، وتتولى أمرها ، بل انها تفقد حياتها وهى تدفع نورا بعيدا عن النافذة خوفا عليها فتصاب اصابة قاتلة وتغنى فى ضعف حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة .

ان بيسى بيرجس بطلة نسائية حقة ، واقعية ، مكافحة ، شجاعة ، شهمة ، فرغم سلاطة لسانها فانها طيبة القلب تهرع

لنجدة جيرانها ، رغم ما بينها وبينهم من عدااء لتخفف من
آلامهم ، وأحزانهم .

أما مسز جوجان فهي خادمة متجولة تعمل لكسب قوتها
طول النهار وجانباً من الليل وكانت قلة رعايتها لابنتها المسلوقة
سبباً في التعجيل بوفاتها . وهي امرأة مكتئبة الوجه ، شاحبة
البشرة ، قلقلة ، عصبية ، ثائرة جداً ، ومحببة للاستطلاع
فلا تستطيع ذبابة أن تدخل المنزل أو تخرج منه دون علمها ،
وهي لهذا عليفة بتفصيل كل ما يحدث حوالها وتعلق عليه
فهي تعرف دقائق حياة نورا مع زوجها ، وفراها تعلق على
شخصية العم بيتر تعليقاً ينفذ الى الأعماق :

« أليس بيتر انساناً مضحكاً ؟

انه يشبه شيئاً ، انتزعت من شجرة عيد الميلاد ..

عندما يرتدى ملابسه الكهنوتية ؛ فانك تعجب من أين جاء ..
عفوك ، يا ربى » .

ان هذه الرغبة في معرفة كل شيء والتعلق عليه أثارت
حفيظة « ييسى بيرجس » عليها التى اتهمتها بالتجسس والتدخل
فى شئون الغير ، إلا أن هذا هو مصدر التسلية الوحيد فى
حياتها .

وشىء آخر يسيطر على ذهنها نتيجة للأحداث التى مرت

بها ألا وهو التفكير في المرض والموت . لقد مات زوجها بمرض
السل ، وترك ابنته مسلوقة كذلك ، فمسر جوجان تسلط
عليها عقلية مريضة تتوهم دائما المرض والجراح والموت .
حتى فلوثر جود الذي لم يكن يعاني من شيء سوى نوبة برد
بسيطة أفرغته بأوهامها وأخذت تذكره بأنها كانت تعرف امرأة
قوية صحيحة البدن « تظن حين تنظر إليها أنها تستطيع أن تمد
ذراعيها وترفع بيتا من طابقين على رأسها ، أصابتها حساسية
في حلقها لسعال خفيف ، وفي الصباح التالي أصابتها حشرة
بسيطة في صدرها ، وقد أدركوها بصعوبة لكي يبللوا شفتيها
بقليل من شراب الرم ، ثم انتهت » . وهي لا ترى في زى فرقة
الفورسترز الا ريشة النعام وهي تهتز وتروح وتجيء مما يجعلها
تقول « يخيّل الى أنى أنظر الى كل منكم معلقا في طرف جبل ،
عيونكم منتفخة وسيقانكم تشنى وترتج لاهتى الأنفاس » وأتم
تحاولون الموت في سبيل إيرلندا ! . وعندما خرجت نورا للبحث
عن زوجها تخيلتها مسر جوجان ملقاة على ظهرها في إحدى
المستشفيات تتوجع من آلام رصاصة أصابتها في مكان حساس
والراهابات يحاولن حملها على القاء نظرة أخيرة على الصليب .
وتبين مشاجرتها مع ييسى أنها ، رغم فقرها ، والظروف
القاسية التي تعيش فيها ، لا تحتمل أية اهانة في شرفها ،

فها هي تهب مدافعة عن نفسها ضد اتهامات ييسى وهي في ثورة عارمة من الغضب :

« أيتها الأفاكة الخبيثة المتبجحة ، ان خاتم زواجى قد استحققت عن جدارة بقضاء عشرين عاما الى جانب زوجى ، الذى يستريح الآن فى السماء .. » .

وهي رغم هذا تقدر كل من يعطف عليها وعلى ابنتها مولسر فهي تشنى على شهامة فلوثر ، وتمتدح جارتها لحنانها على ابنتها المريضة ، وعندما تشتد الأزمة تكف عن شجارها مع ييسى ، وتدفعان العربى معا لجلب بعض الأشياء المسلوقة من المحلات التجارية ، وهي التى تأخذ نورا الى سرير مولسر بعد موت ييسى بيرجس . ان الشقاء جعلها صلبة العود قوية الاحتمال ، وعندما تنزل الستار فى ختام المسرحية ندرك ادراكا قويا أنها ستتكفل بأمر نورا وترعاها ، فلقد تعودت طول حياتها رعاية المرضى .

* * *

أما عن أسلوب المسرحية فهو نموذج لأسلوب أوكيسى الذى احتذى حذو الكاتب الايرلندى « سنج » فى اختيار لهجة شعبية أساسا لحوار مسرحياته فإذا كان سنج اختار لنفسه لهجة فلاحى جزائر آران ، فان أوكيسى اعتمد على لهجة حديث سكان الأحياء الشعبية فى دبلن ، وان كان سنج

قد غرس أسلوبه في أعماق الطبيعة وما توحى به من تفاعل مع
الشخص ، فالطبيعة لا تجد مكانا مرموقا في مسرحيات
أو كيسي إذ أن أسلوبه تطوير لأحداث الناس في حي من أحياء
مدينة دبلن . فشاعرية أو كيسي ، اذن ، تكمن فيما تصوره من
تصارع العواطف والأفكار لدى هؤلاء الناس الذين يشقون
ويكدون لكسب قوتهم وسط الأخطار المحدقة بهم . وهذه
الشخص البسيطة تعبر تعبيرا تلقائيا عن تفاعلها ضد الفقر
والاضطراب الذي يسود حياتهم ، ولأنهم يشعرون بالخيبة
وبالحرمان من ضروريات الحياة فانهم يعوضون عن ذلك
بما يجدونه من متعة في المبالغة في الحديث . ان متعة الحديث
هذه هي المتنفس الوحيد لحرمانهم فنجدهم لهذا ينغمسون في
الخيال السليم أحيانا ، والمريض أحيانا أخرى . وسواء أكانوا
يحتجون على بعضهم البعض أو على العالم أجمع فان شخص
أو كيسي تجد عبارات وكلمات حية رنانة تعبر عن عواطفهم .
حتى ذلك الأبله العم يتر الذي يعاكسه ويشاكسه الكوفي على
الدوام ، يصيح معلنا « طالما أنا رجل حي مسئول عن أفكاري
وكلماتي ، وأعمالي أمام الكائن الأعلى ، فسا شعربأني ملزم
بأن أحارب ضد الأساليب المنحرفة لزواج من الأفاقين ،
يتها مسان ، ويتلاقيان ويدبران ويكيدان معا ليجعلاني أفقد
إحساسى بالحياة التي أحاول أن أحيها .

ولقد حاول أوكيسى ، كما حاول سنج من قبل ، أن يعنى من اللهجة الشعبية التى اختارها لمسرحياته ، ويوسع أبعادها فهمى ليست اذن تسجيلا واقعيا للهجة سكان الأحياء الشعبية ، كما أنه استغل الرغبة الجامعة لدى الايرلنديين عامة وسكان الأحياء الشعبية خاصة الى المبالغة فى الحديث وتأكيد أقوالهم بالصور الشعرية ، والتورية ، والتكرار ، وكثرة السباب والاطناب ، واللعب بالألفاظ لدرجة جعلت الناقد دافيد كراوس يرجح وجود علاقة قوية بين حديث الانجليز فى عصر الملك اليصابات الأولى ، وبين حديث سكان دبلن المعاصرين . وأثرت على أسلوبه أيضا اللغة الغالية Gaelic التى تمكن منها أوكيسى كتابة وحديثا ويبدو أثرها ظاهرا فى بعض التركيبات اللغوية والكلمات . وأثر آخر بدا فى أسلوبه بوضوح ألا وهو الانجيل فطالما سمع قصصا مستمدة من الانجيل من أمه وهو صغير ، كما أنه درسه بعناية . وترى فى مسرحية « المحرث والنجوم » . ييسى بيرجس تردد كثيرا بعض الترانيم الدينية والمزامير .

وتزخر هذه المسرحية بأمثلة عديدة لتعميق الحوار الشعبى وتوسيع أبعاده حتى لا يكون تسجيلا حرفيا فيعمد أوكيسى الى حشد الصور اللفظية وتكبير العبارات ، وتعميق الايقاع

بشكل يتمشى مع شخوصه المتدفقة حماسا . ففي الفصل الثانى
يلمخل فلوتر وبيتر بعد أن أخذتهما نشوة الحماس بعد سماع
خطبة رنانة :

بيتر : أن اجتماعا كهذا يجعلنى دائما أحس كما لو كنت
أستطيع أن أعب بحيرة ايرن حتى أفرغها !

فلوتر : لا يمكنك أن تشعر بشيء غير ذلك فى وقت
كهذا تبض فيه روح الانسان محاولة أن تنطلق
فى سبيل الحق وقدماء ترتعدان على الطريق
المؤدى ربما الى المقصلة ، وفى أذنيه يظن
الصوت الخابى البعيد لطلقات البنادق التى قد
تودى بآخر رمق من الحياة لم يزل يختلج فى
جسده !

بيتر : لقد شعرت بغصة تلتهب فى حلقى عندما سمعت
الفرقة تعزف أغنية « الجنود » متذكرا آخر
مرة سمعتها فيها ونحن نسير فى التشكيل
العسكرى ، والناس على الجانبين يتحدثون عنا
ونحن نحمل معنا كبرياء دبلن وإصرارها الى
قبر وولف تون .

فلوثر : ورغم أنني كنت محشورا في ذلك الجمع فقد كنت أصغى الى الخطب التي تنهمر فوق رؤوس الناس كما ينهمر المطر فوق الغلة ، وحلا ذهني من كل الأفكار المشينة وقلت لنفسي : تستطيع أن تموت الآن يا فلوثر ، فقد رأيت أطياف أحلام الماضي تثب الى الحياة في أجساد رجال أحياء يشبتون أننا اذا كنا بدون ذرة من الشجاعة ، فقد أصبحنا على عكس ذلك الآن ! .

انظر هنا (يمد ذراعه أمام وجه بيتر ويشمر كفه) كان الدم يغلي في عروقي ! » .

وكثيرا ما يستخدم أوكيسي هذا الأسلوب للسخرية من الخطب البطولية الجوفاء ، ومثل حي لهذا نجده في الحوار العنيف الذي دار بين ييسى بيرجس ومشرز جوجان عندما تشاجرتا في الحانة ، وفي البيت ، وفي مشاكسات الكوفي مع بيتر .

ولقد تأثر أسلوب أوكيسي أيضا بالفكاهة التقليدية التي تزخر بها « الميوزكهول » ومسرحيات ديون بوميكولت ، والتي كانت مظهرا مألوفا في الخمارات الشعبية حيث كان يظهر فيها

معنى مهرج للترفيه على الرواد . وهذا الغناء عنصر هام في
مسرحيات أوكيسى جميعها إذ أنه يضيف عليها جوا شاعريا ؛
كما أنه يصور افعالات الشخصوس . ففي هذه المسرحية يغنى
جاك كليثيرو لزوجته نورا أغنية طالما غناها في شهر العسل
وتصور غرامهما العنيف :

أزهار البنفسج كانت تعطر الغاية يا نورا

معلنة عن سحرها للنحلة

عندما قلت أول مرة أنا أحبك وحدك يا نورا

وقلت أنت أنك تحييننى أنا وحدى !

وقبل ذلك فى نفس الفصل نرى أغنية تمثلى غمزا ولمزا

وسخرية من العم بيتريغنيها الكوفي غريمه اللدود ، وهو متجه

بنظراته اليه :

أوه ، أين ذلك العبد الحقير

مقضيا عليه بقيود مهينة

الذى ان استطاع أن يحطم قيوده

فسوف يذوى تحتها بيطء !

قد وطئنا الأرض التى — حملتنا .

الأصدقاء الذين خبرناهم فى جانبنا .

والعدو الذى نمقته — أمامنا !

فالأغنية تعبر عن شخصية الكوفي اللئيم ، وشخصية العم
بيتر الهزيلة التي سرعان ما تثار لأقل لمزة أو غمزة وبهذا تكون
موضع الضحك والسخرية .
وعندما تغنى العاهرة روزى ، وهى تلف ذراعها حول
فلوثر . فهذا تصوير لجانب من جوانب مهنتها . ويغنى فلوثر
عندما يعود مخمورا ، وتفعل الأغنية فعل السحر فى تهدئة
نورا عندما أفقدتها الصدمة وعيها فما هى بيسى يرجس تحاول
أن تعيدها الى فراشها :

بيسى : أدخلى وارقدى ، وسأغنى لك .

نورا : (بحدة) غنى لى ، غنى لى ، غنى لى !

بيسى : (تغنى وهى تقود نورا الى داخل الحجرة) :

أرشدنى أيها النور العطوف ، وسط الظلمة
المكتنفة

قدنى فى طريقى

الليل ظلام ، وأنا بعيدة عن بيتى

قدنى فى طريقى

ثبت خطاى ،

لا أطلب أن أرى المشهد البعيد — خطوة

واحدة فصشب

ما دمت قد باركتنى ، فلا شك أنك تقودنى فى

طريقى .

ان هذه الأغنية أشبه بمناجاة بأن يزيل الله الغمة ويبدد
الظلمة التى تمشت فى عقل نورا وفى مدينة دبلن بأسرها ، فهى
أغنية حزينة تصور تصويرا مؤثرا حالة نورا وحالة دبلن
وقتذاك .. تردد نورا وهى فى هذه الحالة المفجعة الأغانى التى
كان زوجها يغنيها لها فى شهر العسل ..

والجنود يختمون هذه المجموعة من الأغانى بتعبيرهم عن
الحنين الى الوطن والرغبة الجامحة للعودة :

أبقوا مدافىء البيوت مشتعلة

بينما قلوبكم تهفو

ولو أن فتيانكم بعيدون

فانهم يحلمون بالوطن ..

وعلاوة على تصوير هذه الأغانى لانتعالات الشخصوص ،
واضافتها جوا شاعريا للمسرحية ، فهى تكون جانبا هاما فى حياة
سكان الأحياء الشعبية فى دبلن . وهكذا نرى أنه على الرغم
من أن أوكيسى قد تأثر « بالميوزكهول » والأغانى الشعبية
فى الحافات الا أنه طور هذا العنصر ووظفه توظيفا فعالا فى

مسرحياته فهو جزء لا يتجزأ من شخوص وأحداث المسرحية وليست زخرفاً سطحياً يمكن إزالته دون إلحاق ضرر بالغ بالمسرحية برمتها .

وعند الكلام عن أسلوب أوكيسى يجدر بنا الإشارة الى ملاحظة تجلت لا فى هذه المسرحية فحسب بل فى كل أعماله ، أعنى بها الأفاضة فى وصف الارشادات المسرحية لكل فصل . وقد يكون أوكيسى قد تأثر بشو فى هذا الصدد ، ولقد انتقد بعض النقاد هذه التفاصيل الدقيقة لوصف المشاهد بدعوى أنها تنتمى لفن الرواية وأنها تلقى قيوداً ثقيلة على المخرج والممثل والقرارىء وتحد من تصورهم وخيالهم . ولم يقتنع أوكيسى ، كشو ، بهذا المنطق مؤكداً أن الكاتب العبقري يفرض لوازمه الفنية حتى يحقق أهدافه ولن تتحقق هذه بأية حال إلا اذا أعان غيره على تفهم المسرحية بهذه الارشادات المسرحية الطويلة ، ولقد اكتفى أوكيسى بهذا دون أن يلجأ الى كتابة مقدمات طويلة لمسرحياته كما فعل شو .

* * *

ان مسرحية « المحراث والنجوم » تمثل تقدماً كبيراً فى فن أوكيسى اذا ما قورنت بمسرحيته السابقتين « خيال مقاتل » و « جونو والطاووس » فالفاعل بين شخوصها أكثر

عمقا وفاعلية فنراهم في حالات متعددة من الاثفعلالات النفسية ،
ولهذا بدوا أكثر وضوحا وسط المشاهد العامة التي تدور
حولها الأحداث . حقا ، ان كثيرا منهم لا يعدو كونهم مجرد
أنماط كالكو في ويتر وبرنان ولانجون ، لكن علينا ألا ننسى
ما أصابه أوكيسى من توفيق في تحليل شخصية ييسى بيرجس ،
ونورا وجاك كليثيرو وفلوثر جود حتى قدم لنا صورا
حية لهم .

وهذا التقدم الملحوظ نلمسه كذلك في زيادة تمكنه من
تكنيك « التراجيد كوميدى » فأتسمت المسرحية بانسجام
رائع بين عنصرى الكوميديا والتراجيديا وحقت هدف أوكيسى
في إثارة الضحك المزوج بالأسى . اتنا نضحك حتى لا نياس
من الحياة وسط الظلمة التي تكتنفنا . اتنا نضحك من فلوثر
جود ؛ والعم بيتر والكوفى وييسى بيرجس ومسز جوجان لكننا
نعطف عليهم ونفكر في مصيرهم ، وتتمنى أن يرتفع مستوى
معيشتهم لكى ينعموا بالرخاء والاستقرار .

كما أن التسلسل التكنيكى والالتحام العضوى لفصول
المسرحية غاية في الروعة والاتقان . فالفصل الأول يقدم لنا
صورة تنبض بالحياة لسكان الأحياء الشعبية في دبلن وما هم
فيه من حرمان وبؤس فهو مقدمة جميلة للأحداث التي تلت .

أما الفصل الثاني فترى فيه صورتين متداخلتين فبعض رواد
المساكن الشعبية يعبون البيرة في الحانة لينسوا أحزانهم بينما
خيال الخطيب يظهر من النافذة وهو يلهب الجمع المحتشد
ويثير حماسه بعبارات طنانة تدوى من خلال مكبر الصوت ،
وهنا نرى التباين الواضح بين عالم الخطب الرنانة وما تثيره
من أوهام البطولة ، وبين واقع هؤلاء الرواد الفقراء . وتبدو
المشاجرات التي حدثت داخل الحانة تهكما ساخرا على
ما يحدث خارجها — أما في الفصل الثالث فترى البيوت
تتداعى على أثر قصف البارجة هلجا للمدينة بأسرها ، ونرى
ما يحدث من هرج ومرج ، ومن هرولة السكان الفقراء وسط
هذه النيران لنهب المحال التجارية لأخذ بعض النفائس التي
حرموا منها طول حياتهم . وهذه صورة ثنائية مثيرة تعكس
التباين بين عالمين ، عالم الحرمان وعالم الخراب والقتل .
أما الفصل الرابع والأخير فهو مناجاة حزينة أشبه بصلاة
جنائزية بأن يرحم الله الموتى ويزيل الغمة . انه ترنيمة مؤسية
للمدينة المحترقة والناس الذين يخرون قتلى تحت الأطلال
المتساقطة ؛ والضحايا المساكين الذين تدمرت سعادتهم
وبيوتهم .

وهذا التوازن التكنيكي يكمن أيضا وراء الانسجام بين

الأفكار والمشاعر التي تثير فينا المشاعر العنيفة التي تدفعنا الى التفكير في مصير ايرلندا ، ودبلن والعمال . وعن طريق هذه الاشارة يدفعنا أوكيسى الى تصور حالة أفضل لبلاده ، فلا منجاة من هذا الشقاء اذن الا بالدعوة الى تدبر الواقع الحى حتى نصلحه ، فبدون هذا لن تتوافر أى سعادة وتقدم لايرلندا وبنيتها .

د . عبد الله عبد الحافظ

الى ضحكة أمي البهيجة

وهي على باب القبر

Handwritten text, possibly a signature or name, appearing in the center of the page.

Handwritten text, possibly a date or a short phrase, appearing below the first line of text.

شخصيات المسرحية

سكان في المساكن الشعبية

جاك كليثيرو (بناء) قومندان في جيش المواطن
الاييرلندى .

نورا كليثيرو زوجته
بيتر فلين عامل عم نورا

الكوفي الشاب سيباك ابن عم كليثيرو
بيسى بيرجس (بائعة فاكهة متجولة)

مسز جوجان (خادمة حيالة)
مولسر (طفلتها المصدورة)

(نجار) فلوثر جود

الملازم لانجون (موظف) من جيش المتطوعين الايرلنديين
الكابتن برينان (جزار دجاج) من جيش المواطن
الاييرلندى

العريف ستودارت جندى انجليزى من فرقة ولتشاير
الجاويش تنلى جندى انجليزى من فرقة ولتشاير
روزى ريد موند من بنات الهوى

عامل بار
امراة

الخيال الذى في النافذة

الفصل الاول

حجرة الجلوس في شقة كليثرو بأحد مساكن
دبلن الشعبية .

الفصل الثاني

حانة . في خارجها اجتماع منعقد .

الفصل الثالث

الشارع الذي به بيت كليثرو .

الفصل الرابع

غرفة بيسي بيرجس .

الزمان

الفصل الاول والثاني - نوفمبر سنة ١٩١٥

الفصل الثالث والرابع - أسبوع الفصح

سنة ١٩١٦

تنقضي بضعة أيام بين الفصلين الثالث والرابع

الفصل الأول

مسكن عائلة كليثيرو ، ويتكون من حجرتين للاستقبال أحدهما أمامية والأخرى خلفية في منزل بديع قديم من الطراز الجورجى .. يجاهد للبقاء ضد هجمات الزمن ، وضد ما هو أشد وطأة من ذلك وهم السكان .

الحجرة التى تظهر هى حجرة الاستقبال الخلفية ، وهى حجرة واسعة ، فسيحة ومرتفعة ، ويقع فى الخلف المدخل الى حجرة الاستقبال الأمامية .

والمكان الذى كان يشغله فى الأصل باب ذو مصراعين تقطيه الآن ستارتان لونهما أرجوانى داكن تزينهما رسوم أرجوانية فاقعة وصفراء فاتحة .

وقد جذبت إحدى الستارتين جانبا لتظهر جزءا صغيرا من الغرفة الأمامية التى فى نهايتها يمكن رؤية النوافذ المرتفعة التى تطل على الشارع .

وقد أثنت الغرفة التى تواجه النظارة على نحو يوحى بمحاولة اعطاء صورة بدیعة عن الحياة المنزلية .

وعلى اليمين توجد المدفأة الكبيرة وهى من الخشب ، وقد طليت لتبدو وكأنها من الرخام . (أما المدفأة الأصلية فقد امتزعتها صاحب المنزل) - على حافة المدفأة مسرجتان (شمعدانان) من الخشب الداكن المحفور ، بينهما منبه صغير علق فوقه تقويم (نتيجة) تظهر فيه صورة (فينوس النائمة) .

وتتدلى من صدر مدخنة المدفأة صورة « روبرت
أيمت » (١) .

على يمين المدخل المؤدى الى الغرفة الامامية نسخة من
لوحة « الجليتز » (٢) .

وفي الجهة المقابلة نسخة من لوحة « الانجلس » (٣) .
وتحت اللوحة الاولى تقوم خزانة ذات ادراج عليها اناء
أخضر ممتلئ بازهار « الداليا » القرمزية ، والأقحوان
الابيض .

وتوجد بالقرب من المدفأة أريكة تستخدم ليلا كسرير
مزدوج لكليثرو وفورا .

وتحت اللوحة الثانية عدد من الرفوف عليها أوان للطبخ
(كسرولات) ومقلاة .

وتحت هذه الرفوف منصدة فوقها مصنوعات خزفية
مختلفة .

(١) أيمت (١٧٧٨ - ١٨٠٣) زعيم أيرلندي قاد ثورة ضد
الانجليز سنة ١٨٠٣ .

(٢) The Gleaners وهي صورة تمثل رجلا يقف في الحقل
وبضجته امرأة منحنية تنتزع البطاطس وتظهر على البعد
قرية صغيرة .

(٣) The Angelus وهي لوحة تمثل الرجل نفسه والمرأة
توهما في الحقل وقد توقفا عن العمل ساعة الظهر للصلاة مع
دقات الكنيسة .

— وهما لوحتان مألوفتان في معظم البيوت الأيرلندية —
(المترجم) .

وقرب نهاية الغرفة - في مواجهة المدفأة - منضدة
(من النوع الذى يطوى) مغطاة بمفرش ، وقد وضع فوقها
سيف ضخمة من سيوف الفرسان .

على اليمين باب يقود الى ممشى يصل السلم بالصالة .
أرضية الغرفة مغطاة ببساط أخضر داكن . والغرفة
معتمة فيما عدا الجزء الذى يضيئه وهج المدفأة .

وخلال نافذة الغرفة من الخلف يمكن رؤية اشتعال لهب
مصباح الجازولين الذى يضىء للعمال الذين يقومون باصلاح
الشارع . بين حين وآخر يسمع رنين المعاول وهى تصطثم
بحجارة الرصف .

فلوثر جود يقوم باصلاح قفل الباب ناحية اليمين . وعلى
المقعد الى جواره مطرقة مقوسة ، وفي يده مفك . وهو رجل
في الأربعين من عمره نادرا ما يستسلم للهموم ، مفرم بالشراب ،
ولكنه مصمم على التغلب على هذه العادة قبل أن يموت .
وهو عريض الكفين ، قاسى الملامح ، تحت عينه اليسرى ندبة ،
وأنفه معوج نتيجة لكمة ساحقة أصابته فى شجار منذ زمن
طويل .

وهو أصلع عدا خصلات قليلة من الشعر المحمر تطل
من وراء أذنيه ، ويخفى شفتيه العليا شارب أحمر كث تتخلله
شعرات رمادية . . وهو يرتدى سترة سوداء رثة ، وقميصا
من القطن ياقته رقيقة ، « وبابيون » أسود صفرا جديرا
بالاحترام ، وعلى رأسه قبعة رخيصة ناصلة ، ومن عادته
عندما يفعل أن يديق بها على مؤخرة رأسه مرات متتالية وأثناء
النقاش ينفجر عادة بالصياح والفضب الذى يدل عموما على
حدوث شجار .

انه الآن يلبس قميصا ، وفوقه مزيلة بيضاء ملطخة ، وتبرز
من جيبتها مسطرة النجار التي طولها قدمان .

لقد فرغ لتوه من مهمة تركيب قفل جديد ، وامتلأ
بالرضا ، وأخذ يفتح الباب ويفلقه مستمتعا بانجاز عمل
متقن .

أمام المدفأة يجلس « پتر قلين » يجفف قميصا أبيض ،
وهو رجل ضئيل ، نحيف الى حد ما ، وله وجه يشبه الماسة .
على خديه وتحت ذقنه لحية خشنة متناثرة لونها أبيض متسخ
والصفر ناصل . وتكسو وجهه على الدوام كآبة ظاهرة مختلطة
بتحد غاضب ، كما لو كان كل انسان في حالة حرب معه ، وهو
في حالة حرب مع كل انسان .

انه يلوى رأسه بطريقة توحى بالامتعاض من وجود فلوتر
الذى يبدو وكأنه لا يعيره اهتماما ، ولكنه في الواقع يراقبه
خلسة .

يرتدى پتر فائلة وسروالا أبيض من القماش المضلع
ضيقا تحت الركبة ، وفي قدميه جورب .

يسمع صوت يتحدث في الخارج ، جهة اليسار (وهو
صوت مسز جوجان) .

مسز جوجان: (من الخارج) عن تبحث يا سيدى ؟ — من

— عن مسز كليثيرو ؟ .. أوه معذرة .. أهوه

نعم ، في نهاية هذا الممر .. أظن أنها في الخارج :

لقد رأيتها وهي تخرج . انك تحمل شيئا لها ،

أوه ، معذرة . أنت من قبل محلات أرفوت ..

فهمت .. معك طرد مبيعات لها .. حسنا ..
سأخذه .. سأعطيه لها فور وصولها .. سيكون
في أمان تام .. أوه هل أوقع على هذا ..
معذرة .. أين ؟ .. هنا .. ؟ ليس هنا ، هناك ..
حسنا . هل أكتب ماجي أو مسز ؟ ما هذا ؟ ..
لا تعرف ؟ .. أوه معذرة .

(تفتح مسز جوجان الباب وتدخل . وهى امرأة مكتئبة
الملامح ، ضئيلة فى الأربعين من عمرها ، متوددة السلوك ،
شاحبة البشرة ، قلقة ، عصبية ، ثرثرة جدا ، ومن عاداتها
أن تمسك بالأشياء التى تكون فى متناولها وتعبث بها وهى
تتحدث . وقلبها مولع بحب الاستطلاع لا تستطيع ذبابة أن
تدخل المنزل أو تخرج منه دون علمها .
فى يدها طرد من تاجر الأقمشة محزوم بخيط غير محكم
العقدة .

« بيتر ممتعض من هذا التطفل أكثر من ضيقه بوجود
فلوثر ، ينهض من مقعده ودون أن يلتفت حوله يذلف الى
الحجرة الخلفية وقد لوى رأسه مضطربا . »

مسز جوجان تفض الغلاف ثم تفتح صندوق الكرتون الذى
يحتويه .
عجبا ما هذا ؟ قبعة !

(تخرج قبعة سوداء بها زخاف حمراء
وذئبية) .

يا الهى ، اتها جنت اخيرا بالموضة !

أراهن أن هذه القبعة قد كلفتها الكثير .. يا للأفكار المتعالية
التي تتناهبها .

(تضع القبعة على رأسها) .. أوه .. كم هي رائعة !
(تعيدها إلى الطرد) .

فلوثر : انها فتاة جميلة على أى حال .

مسز جوجان: آه ، انها كذلك ، وليست كذلك .. انها مسرفة
أحيانا . وأنا أقول دائما بأن « جونلاتها » أقصر
مما يجب بالنسبة لامرأة متزوجة . ولو تراها
في بعض الأمسيات وهي في قميص نومها ،
« المقوثر » لأصايب الفرع .. اننى أشعر
بالخجل من نفسى أمام زوجها ، وكذلك الطريقة
التي تحاول أن تبدو بها مؤدبة وهي تقول :
صباح الخير يا مسز جوجان أئتاء نزولها ،
أو مساء الخير يا مسز جوجان عند عودتها .
انها مؤدبة ولكن ليس كل الأدب محبوبا .

فلوثر : ولكن يبدو أنهما على وفاق تام ، رغم كل
شئ .

مسز جوجان: آه ، انهما على وفاق ، وعلى غير وفاق . لقد
تعودا أن يكونا مثل يمامتين ، دائما في تقييل
وغزل ، فلم تكن تدخل عليهما الغرفة الا وتحس

بالغريزة بأنهما قد انتهيا توا من التقييل
والعناق .. وكان ذلك كثيرا ما يجعلنى أرتجف
لأنه على أية حال ، أمر زاد عن الحد . غير أننى
أظن بأنه قد بدأ يأخذ الأمور بشكل أكثر اتزاناً ،
وأن سر امتلاك امرأة لم يعد سرا .. انها تتزين
لتحفظ به ، ولكن لا فائدة ، فبعد شهر
أو شهرين يزول سحر المرأة .

فلوثر : لا أدرى . لا أدرى ، اننى لا أرغب فى أن أقول
شيئا مشينا . اننى أعتقد بأن الأمر كله يتوقف
على تحديد المكان : فعندما يجد الرجل سحر
امرأة قد بدأ يموت ، فان هذا يعنى عادة أن
سحرا بدأ يولد فى امرأة أخرى .

مسز جوجان : انها دائمة التذمر من أنها مضطرة لأن تعيش
فى أحد المساكن الشعبية .

انها تقول : أنا لا أود أن أقضى ساعتى الأخيرة
فى واحد منها ، وغنى عن القول العيش طول
حياتى فيه .

وتقول انها مقابر تخفى الموتى بدلا من بيوت
تؤوى الأحياء .

فأقول أنا : ولكن كثيرا من خيرة الناس نشأوا
في مسكن شعبي . أوه ، أنت تعرف أنها فتاة
مدبرة أيضا تستطيع أن تنفق شلنا في الوقت
الذي ينفق فيه غيرها جنيها . انها تخدع الكوثي
وبيتر العجوز المسكين — وكل انسان يعرف
ذلك — ويعرف أنها تحاول قدر استطاعتها
أن تنتزع كل بنس منهما ، لكي تملأ المكان
بالتحف ..

وقد ملأت حياتهما بالرعب ، انها تغسل وجهيهما ،
وتمشط شعرهما ، وتجفف أقدامهما ، وتنفض
الغبار عن ملابسهما ، وتشذب أظافرهما ،
وتنظف أسنانهما ، يا الهى الجبار ، ان ذلك
يجعلك تحسب أن الرجلين البائسين يقضيان
عقوبة الأشغال الشاقة .

فلوثر : (بصيحة اشمنزاز) آ آ آه ، لقد فاق هذا كل
الحدود في منزل شعبي ، انه أمر مشين أكثر
من اللازم .

يدخل بيتر من ناحية الخلف ، منتصب الرأس ، وفي عينيه
غيظ متقد .

انه لا يزال فى فائقته وسراويله .. وان كان يلبس الآن حذاء
بغير رباط .. ربما لكى يبدو مظهره لائقا فى حضرة مسز جوجان .
يضع القميص الأبيض الذى كان يحمله على ذراعه - على
ظهر مقعد بالقرب من المدفأة ويعبر الى خزانة الثياب . يفتح
درجا بعد آخر ، باحثا عن شىء ما ، وحين يفشل فى أن يجده ،
يطلق كل درج فى عنف . يجذب قطعة من قماش الكتان مطوية
بعناية ، ثم يعيدها مرة اخرى كيفما اتفق .

بيتر : (فى نبرات متأللة) ماذا أفعل . يا الهى القدير ،
الهمنى الصبر .

(يعود الى الحجرة الخلفية ، يلوى
(ينعكش) القميص بعنف أثناء مروره) .

مسز جوجان: أنا فى دهشة ، ما الذى يبحث عنه الآن ؟

فلوثر : انه يتزين لاجتماع الليلة .

(يخرج منشورا من جيبه ويقرأ) .
مظاهرة كبرى ، وموكب مشاعل يطوف
بأماكن المدينة الخالدة فى ذكرى الوطنيين
الاييرلنديين وتختتم باجتماع يؤخذ فيه
يمين الولاء للجمهورية الايرلندية .

التجمع فى ميدان پارنل فى الساعة الثامنة .
لا بأس ، انهم يستطيعون التمهّل حتى يأتى
فلوثر ، انا انتهيت ، لا شراب بعد اليوم
لفلوثر .

ثلاثة أيام ، لم أمس قطرة .. وأشعر بأننى
إنسان جديد .

مسز جوجان: أليس بيتر انسانا مضحكا ؟

.. انه يشبه شيئا ، انتزعته من شجرة عيد الميلاد .. عندما يرتدى ملابسه الكهنوتية ، فانك تعجب من أين جاء . عفوك يا رب ، انتى حين أراه فى هذا الزى أفكر دائما أن أباه كان مورمونا ! (١) هو والكوفى لا يطبق أحدهما الآخر ، كلاهما يحاول دائما أن يبرز صاحبه . ولسوف يراق دم يوما ما .

فلوثر : ما السبب فى أن كليثيرو لم تعد له الآن صلة بجيش المواطن الايرلندى ؟ . فمنذ شهرين فقط كان من العسير أن تربه الا ومعه بندقيته وشارة قاعة الحرية (اليد الحمراء) فى قبعته (٢) .

مسز جوجان: كل هذا لأنهم لم يعينوه « كابتن » . انه لن يشترك فى شيء لا يستطيع أن يكون فيه بارزا .

(١) المورمون Mormon فرقة دينية لها تقاليد خاصة .
(٢) اليد الحمراء هى شارة السترة فى ايرلندا) التى اتخذتها قاعة الحرية أو المركز الرئيسى لحركة العمال فى ذلك الحين . (المترجم)

كان متأكدا تماما من اختياره لدرجة أنه ابتاع
حزام... « سام براون » (١) وكان دائما يتمنطق
به . ويقف أمام الباب ، ويعرضه على الأنظار ،
حتى يجيء الرجل ويظفي مصابيح الشارع
عليه .

يا الهى ما أظن الا أنه كان يذهب به الى
السريـر ! .. لكننى أخبرك أن زوجته كانت
مبتهجة لأن ذلك الديك لا يصيح ، فهي
كالدجاجة القلقة اذا غاب عن ناظرها لحظة .

(أثناء حديثها تناول كتابا بعد آخر من على المائدة ، متطلعة الى
كل كتاب عن قرب . ثم تعيده الى مكانه . انها ترفع السيف
الآن ، وتأخذ في تفحصه) .

مسز جوجان: يبدو من شكله أنه كان بالتأكيد سيف أحد
الجنـرالات .. يا لكثرة الأشرطة الذهبية ،
والنقوش الجميلة عليه .. بالتأكيد انه لا يتناسب
مع طوله مطلقا .

فلوثر : أ — آه ، لا يليق به الا (شـخـشيـخة) طفل
بمنظره هذا ، والخواطر التى تتقاذف فى رأسه
عما سوف يحدث له فى يوم الحساب .

(١) هو الحزام العسكرى الخاص بضباط الجيش .

(فى هذه الأثناء يدخل پيتر ، وحين يرى مسز جوجان ومعها
السيف يمشى نحوها ، ويخلصه من يدها فى استياء ، ويمضى
الى الحجرة الخلفية من غير أن ينطق بكلمة) .

مسز جوجان: (وپيتر يخطف السيف) أوه ، ماذا تظن أنك
تفعل ! ..

(توجه الحديث الى فلوثر) أوليس وغدا عجوزا
لئىما !

فلوثر : لا تهتمى به . قد تظنين أنه أصم ، ولكنه متى
أثير ، أو أفرط فى الشرب فانه يتحول الى
العكس .

(يسعل)

مسز جوجان: (فى هذه الأثناء كانت تسير بجانبها حتى القميص
المعلق على الكرسي) أوه ، لقد أصابتك نوبة
برد ، يا فلوثر .

فلوثر : (بغير اكتراث) أوه ، انها نوبة بسيطة .

مسز جوجان: ينبغى أن تكون محتاطا ، على أى حال ، كنت
أعرف امرأة ضخمة جدا ، موردة الوجه ، كروية
الجسم ، مع غلظ قليل فى قدميها ، تظن حين
تنظر اليها ، انها تستطيع أن تمد ذراعيها وترفع

بيتا من طابقين على رأسها ، أصابتها حساسية في
حلقها ، وسعال خفيف ، وفي الصباح التالي
أصابتها حشرة بسيطة في صدرها ، وقد
أدركوها بصعوبة لكي يبللوا شفيتها بقليل من
شراب الرم ، ثم انتهت .

(بدأ في التطلع الى القميص والعبث به) .

فلوثر : (في شيء من الانفعال) انها ليست سوى نوبة
بسيطة من البرد ، فليست مريضا بصورة
فظيعة .

مسز جوجان : لا أدري ، كم من رجل في هذه اللحظة يعب
قدحا من البيرة ، أو يفكر في امرأة ، أو يراهن
على حصان ، أو يؤدي عملا كما تفعل الآن ،
بينما عربة الموتى تجرها الخيول بعرفها الأسود
متجهة الى باب مدخل بيته ، وصوت لا يسمعه
يتسم في أذنه : الأرض للأرض ، والرماد
للرماد ، والتراب للتراب .

فلوثر : (بصوت ضعيف) يجب على الرجل وهو في
أتم صحة ألا يسمح مطلقا لأفكار الموت أن
تتوالد في عقله لأنني (في سعال مدعور) والله ،

(يدخل الكوفي من الباب ناحية اليمين .
وهو يناهز الخامسة والعشرين ، طويل
القامة نحيف ، في وجهه تجاعيد تشكل
احتجاجا دائما على الحياة ، كما يتصورها .

هنالك أخذودان غائران على جانبي أنفه
يتحدران الى ما حول شفتيه كأنهما
حمالتان تحفظان قمه من السقوط .
يتحدث في ولولة ممطوطة متأنية ،
ويتحدث بسرعة أكثر عندما يكون منفعلا .
يلبس « اوفرول » من القطن الخشن ،
وربطة عنق حمراء زاهية . يقذف بقبعته
على المنضدة في حركة متقززة ، ويأخذ
في خلع « الاوفرول »

مسز جوجان : (موجهة حديثها للكوفي ، وقد أقبلت تجرى

الى الغرفة) ماذا سيحدث يا كوفي ؟

الكوفي : (في ازدراء) لقد أوقفت العملية . انهم قد

عَبَّئُوا ليسيزوا في مظاهرة الليلة تحت (راية)

المحراث والنجوم .

ألم تسمعي هتافهم ، هؤلاء الحمقى ! عليهم أن

يجددوا عهودهم السياسية التي قطعوها على

أنفسهم بأن يكونوا موالين الى الأبد .

فلوثر : (ناسيا خوفه في غيظه) لا داعي لاقحام الدين

في الأمر ، أعتقد أنه يجب أن نكن احتراماً
كبيراً للدين بقدر ما نستطيع ، حتى نبعد عن
أكثر ما يمكن من الأشياء .

الكوفي : (يتوقف أثناء خلعه للأوفرول) أوه ، أنت أحد
هؤلاء الذين يستغلون الدين الى مدى ليس
أكثر من صلاة الأحد القصيرة ؟ ولعلك ستغني
أغاني صهيون وأغاني « تارا » في الاجتماع
أيضاً .

فلوثر : كلنا إيرلنديون على أي حال ، ألسنا كذلك ؟

الكوفي : (بيد ممدودة ، ونغمة مصطنعة) اتبه ، أيها
الرفيق ، ليس هنالك شيء اسمه إيرلندي ،
أو انجليزى ، أو ألماني أو تركي ، اننا جميعاً
أدميون فحسب ، وبتعبير علمي فإن المسألة
كلها مسألة اتصال عشوائي بين جزيئات وذرات .

(يدخل بيتر وفي يده ياقة ، يتجه الى
المرأة ، ناحية الشمال ، ويشعر في
ارتدائها .

فلوثر : جزيئات وذرات ! أظن أنني سأصغى اليك

وأنت تحاول أن تخلب لب فلوثر بالغاز معقدة
عن الجزيئات والذرات .

الكوفى : (بصوت مرتفع نوعا) لا يوجد أى تعقيد فى

ذلك ؛ وليس هنالك خوف من أن تقول الكنيسة لك ان الجزيئات تَجْمَع لملايين الذرات من الصوديوم ، أو الكربون ، أو البوتاس ، أو اليود الخ .. والتى — طبقا لطريقة مزجها — تصنع زهرة ، أو سمكة ، أو نجمة تراها ملتزمة فى السماء ، أو انسانا يمشى كغيره مثلى ، أو يمشى صغير مثلك !

فلوثر : (بصوت أكثر ارتفاعا) ليس هنالك ما يدعو

لأن ترفع صوتك ، فالصراخ لا يدل على عقل ناضج .

بيتر : (يجاهد فى تثبيت ياقته) يا الهى ألهمنى الصبر

مع هذه الياقة .. انها تجعل هذه الياقات جافة بالنسبة كشرط ملتزم من الصلب !

انها تعتمد ذلك لتحاول أن تعوقنى . اذا كنت لا أستطيع ارتدائها على الفائلة ، فكيف بالله أستطيع تثبيتها على القميص ؟

الكوفى : (فى صوت مرتفع) لا فائدة من النقاش معك .

ان الثقافة هى التى تنقصك أيها الرفيق ؟

فلوثر : الكوفي مع الله قد صنعا العالم ، أهذا ما تعنى ؟

الكوفي : عندما أسمع البعض يتحدث : فأتى أميل الى

عدم الاعتقاد بأن العالم عمره ثمانمائة مليون سنة ، لأنه لم يمض زمن طويل منذ أن كان آباء بعضهم يزحفون من مأواهم فى قاع البحر .

مسز جوجان : (من الحجرة الخلفية) انظر . هاهم قد تشكلوا

أربعات ، والآن سيبدءون فى السير .

فلوثر : (فى ازدراء) الجزئيات ! (يبدأ فى فك مربلته)

ماذا تقول فى آدم وحواء ؟

الكوفي : حسنا — ماذا عنهم ؟

فلوثر : (محنقا) ماذا عنهم ؛ قل أنت ؟

الكوفي : آدم وحواء ! أهذا كل ما وصلت اليه .

ألا تزال تحسب أنه لم يوجد أحد فى العالم

قبل آدم وحواء ؟

(رافعا صوته) ألم تسمع أبدا يا رجل عن

هيكلى انسان جاوه ؟

بيتر : (يقذف ياقته) اللعنة ، اللعنة . اللعنة !

فلوثر : (يطوى مربلته بعنف) آه ، لن أدعك تدخل

تدخل أفكارك الحقيرة الى عقل فلوثر .

الكوفي : انك خائف من سماع الحقيقة !

فلوثر : من الخائف ؟

الكوفي : هو أنت !

فلوثر : دعك من هذا ، أيها الدودة !

الكوفي : من هو الدودة ؟

فلوثر : أنت ، والا ما كنت تتحدث بهذه الطريقة التي

تتحدث بها .

الكوفي : ها هو الوحش الجاهل الكامن فيك — يخرج

حين يريك العلم أن رأس معبودك خاوية . على

أى حال ، أرجو أن تستمتع بنعمة اضطراك

للعيش من عرق جبينك .

فلوثر : سيأتى اليوم الذى ترفض فيه ، وتصرخ فى

طلب القس يا صاحبي ! لن أجلس فى صمت

مصغيا فى بساطة الى غبى مثلك يتهمك بالالاه

الجبار بشكل يثير الاستفزاز . سيكون أمرا

مشينا يثقل ضميري عند موتى أن ألتفت خلفي

وأذكر فى خجل أننى قد تحدثت الى ماضع

كلمات جاهل مسخ شيوعى !

مسز جوجان: (وقد عادت الى الحجرة الأمامية ، وأخذت

تتجول وهي تنظر الى الأشياء عموما ، وهي
الآن أمام المدفأة تنظر الى الصورة المعلقة
فوقها) .
ناشدتك الله يا فلوتر أن تترك هذا الموضوع ،
فان ذكر الدين دائما بداية الشجار .. (ناظرة
الى الصورة) رحمتك يا رب ، انها امرأة
عارية ! .

فلوتر

: (ذاهبا لينظر اليها) ماذا تحتها ؟ (يقرأ) ،
جورجينا : فينوس النائمة ، أوه ، هذه صورة
مخيفة ! أوه ، هذه صورة مخجلة ! أوه ، هذه
المرأة التي أخذت لها هذه الصورة ، لا بد وأنها
كانت فتاة من الطراز الأول !

بيتر

: (الذي أقبل أيضا لينظر الى الصورة ، يضحك
وجسمه منحن ، ورأسه مائلة الى الخلف قليلا)
هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء !

فلوتر

: (مستاء ، يوجه حديثه الى بيتر) ما الذى تهأهىء
له ؟ أهذا شئ يستحق أن تهأهىء منه ، أين
أخلاقك يا رجل ؟

مسيز جوجان: ليغفر لنا الله ، ليس صوابا أن تتطلعوا اليها .

فلوثر : يكاد يكون مشينا أن توجد في نفس الغرفة

التي فيها هذه الصورة .

مسز جوجان : (في قهقهة هستيرية) أنا لا أستطيع البقاء أكثر

من ذلك في نفس الحجرة مع ثلاثة رجال

يتطلعون إليها .

(تخرج)

الكوفي : (الذي خلع عنه أفروله ، يرميه بحركة ازدراء

فوق قميص بيتر الأبيض) .

بيتر : (في امتعاض) أين تلقى به ؟ أتحاول أن

تعاكسني ؛ وتعذبني ثانية ؟

الكوفي : من ذا يحاول أن يعاكسك ؟

بيتر : (يلقي بالأفرول بقوة على الأرض) لن تجعلني

أفقد أعصابي ، يا صديقي الشاب .

الكوفي : (يقذف بالقميص الأبيض على الأرض) حتى

لو كنت حبيب نورا نفسها ، فانك لن تسال

غرضك دائما .

بيتر : (محنقا وعيناه تنظران الى السقف) لن أقول

شيئا .. بل سأتركك الى اليوم الذي يسلمك

فيه الله الرحيم الرحمن العطوف الى الملائكة

الذين يشيرون جسدك ، ويمزقونه ،

ويعذبونك ويحرقونك باللهب !

الكوفى : أولست أنت اللقيط العجوز الخبيث ، أيها

الخنزير ذى الشارب الليمونى !

بيتر : (يجرى إلى السيف ويستله ، ويهجم على

الكوفى الذى يزوغ منه حول المنضدة ، بيتر

ليس لديه نية الضرب . ولكن الكوفى لا يريد

أن يخاطر .

الكوفى : (مراوغا) فلوثر ، أمسك به ، انه لشيء لطيف ،

أن تلقى معتوها كهذا ، يطوح حواليه بهذا

السلاح الفتاك ! .

(ينقلت الكوفى من الحجرة ، ناحية اليمين ،

ويصفق الباب فى وجه بيتر) .

بيتر : (يدكدك ويجذب الباب) دعنى أخرج ، دعنى

أخرج ، أليس شيئاً رديئاً بالنسبة لإنسان لا ينطق

كلمة ضد عدوه اللدود أن يجد نفسه مضطراً

لأن يصغى لعدوان ذلك الكوفى المثير ، وهو

يدفع الناس البؤساء الصابرين أن يمتطروه

باللعنات التى تسود روحه فى ظلمات السخط

فى اليوم الآخر !

فلوثرني : لماذا تلقى بالك إليه ، إذا رآك لا تهتم ، فانه

لن يقول أى شىء مشين .

بيتر : سأجعله يوقف ضحكاته ، وغمزاته ، وعناده ،

وتهكمه وايداعه المارة بتلميحات الصبية

المتسكعين على ناصية الشارع .. انه يحاول

دائما اثارتي بالغناء ، فان لم يكن فبالصغير ،

فاذا لم يكن صغيرا ، فبالسعال ، ولكنك تستطيع

أن تضايق كما تشاء ، ها أنذا أهزأ منك هىء ،

هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء !

الكوفى : (يغنى من ثقب الباب)

يا قيثار بلدى العزيز ، فى الظلام وجدتك .

حلقة السكون القائمة قد رانت عليك طويلا .

بيتر : (فى ثورة) يا يسوع ، أسمع ذلك ، أسمع

يطلق أغنيته الشيطانية الاستفزازية ؟

الكوفى : (يغنى كذى قبل) عندما فككتك باعتزاز

يا قيثار جزيرتى .

ووهبت أوتارك جميعا للنور والحرية والغناء !

(بيتر يلق على الباب) عندما أخرج سأريك ،

سأريك ، سأريك !

الكوفي : (خلال ثقب الباب) كوكوو - وو !

(نورا تدخل من الباب اليمين - وهي
شابة في الثانية والعشرين من عمرها ،
نشطة خفيفة الحركة ، مليئة بالحيوية
المتوترة ، ومتهللة نوعا على أخذ حظها
من الحياة .

تعارض قسما وجهها المحددة -
بشكل ملحوظ - مع قمها الغض الفاتن ،
وعينيها الحائيتين ، وحين تخذلها صرامتها
فانها تستخدم جاذبيتها النسوية في
الاقناع .

ترتدى زيا حسن التفصيل ، وتضع حول
رقبتها فراء ثعلب قضى اللون) .

نورا : (تدخل مسرعة وتدفع بيتر بعيدا عن الباب)
أوه ، ألا أستطيع أن أدير ظهري الا وأتما
دائما هكذا ، مثل زوج من الديكة المتقاتلة !

يا عم بيتر .. عم بيتر .. عم بيتر !

بيتر : (صائحا) أوه ، عمي بيتر ، اللعنة على العم
بيتر ! أتحيين أنني سأسمح للكوفي الشاب
بأن يحيل حياتي كلها الى كتاب مقدس للعقوبات
والاستشهاد ؟

الكوفي : (يندفع الى الحجرة غاضبا) انك ان لم تتحكي

في عنك بيتر هذا ، فسوف تكون هنا جنازة ،
ولن أكون أنا الذي في النعش !

نورا : (واقفة بين بيتر والكوفي ، توجه حديثها الى
الكوفي) هل أنت ماض دائما في محاولة تمزيق
بقية مظاهر الاحترام التي يحاول الانسان أن
يقيمها ؟ وهل أنا مضطرة دائما لأن أدربك على
عادة الاحتفاظ ببعض المظاهر ؟

الكوفي : لماذا لم تكوني هنا لترى الطريقة التي هاجمني
بها بالسيف ؟

بيتر : لماذا دعوتني خنزيرا عجوزا ليموني الشارب ؟

نورا : اذا لم تحاولا أتما الاثنان أن تتكرما بتغيير
سلوككما ، وأن تستمرا في محاولة الاحتفال
بتقاليد بقية أهل المنزل في هذا المكان ، عليكما
الرحيل الى مسكن آخر قد تقابل فيه
مشاجراتكما السيئة بالاستحسان .

بيتر : (الى نورا) هل يعجبك أن يدعوك أحد
خنزيرا عجوزا ليمونية الشارب ؟

نورا : اذا حاولت أن تلوح بسيفك هذا نحو أي
شخص مرة أخرى ، فسوف ينتزع منك ،

ويوضع في مكان أمين بعيدا عن الأطفال الذين لا يعرفون خطر هذه الأشياء .

بينر : (عند مدخل الحجرة الى الخلف) على أى حال ،

اننى لن أدع أى شخص يدعسونى بالخنزير العجوز الليمونى الشارب . (يدخل) .

فلوثر : (يعالج الباب) انه يفتح ويغلق الآن بحركة

مهذبة ، مثل باب أى مشرب فاخر فى حانة من حانات الطبقة الراقية .

نورا : (توجه حديثها الى الكوفى ، وهى تعد المائدة

للشاي) ولآخر مرة يا ويللى ، يجب أن تحاول أن تتخلص من الرغبة فى استفزاز بيترا الأمر الذى يدفعه الى النسيان الصارخ لما هو لائق ومسموح به فى بيت محترم .

الكوفى : حسنا ، اجعليه يهتم بشئونه الخاصة اذن . لقد

فاجأته أمس يقهقه وهو يقرأ فقرات من كتاب جينيرسكى « بحث فى تشاة وتطور وتدعيم

جاك فى أية لحظة ، ولن أسمح بتعكير أمسيته

نورا : والآن ؛ فلتقف عند هذا الحد بربك ، سيحضر

جاك فى أية لحظة ، ولن أسمح بتعكير أمسيته

بالضجة التي لا تنتهي بينك وبين عمى پيتر .

(الى فلوثر) . حسنا ، هل نجحت في اصلاح

القفل يا مستر جود ؟

فلوثر : (يفتح الباب ويعلقه) لقد صار الآن أفضل

من قفل جديد يا مسز كليثيرو ، ويكاد يكون

مهيناً لأن يفتح ويعلق تلقائياً .

نورا : (تعطيه قطعة من النقود) انك رجل بحق ، كم

قلدا من البيرة يمكنك شراءها بهذه القطعة ؟

فلوثر : ولا واحدا . يا مسز كليثيرو ، فقد ارتد فلوثر

الآن الى شرب الماء . تستطيعين أن تقفى حيث

أنت تنشدين : خذ كوبا من البيرة يا فلوثر

يا فلوثر خذ كوبا من البيرة ، حتى تدق الأجراس

معلنة انتهاء العام القديم ، ومقدم العام الجديد ،

ولن تزيد فرصتك في التأثير على فلوثر من

فرصة نغم في زمارة من الصفيح في تحريك رجل

أصم ميت .

(بينما تفتح نورا الباب وتلققه ، تظهر

عنده مسز ييسى بيرجس ، وهى امرأة في

الأربعين من العمر ، قوية البنيان ، ذات

وجه عنيد قساه الكدح ، فيه قدر من
الخشونة من تأثير الشراب . تنظر الى
نورا بازدرء وحقد بضع لحظات قبل أن
تتكلم) .

بيسى : انها تضع قفلا جديدا فى بابها .. انها خائفة من
أن يقتحم جيرانها المساكين الباب ويسرقونها ..
(بنبرة مرتفعة) ولماذا لا يكونون أكثر أمانة
ألف مرة من حضرتك .. أنت التى تمنعين الأطفال
من اللعب على السلم .. لأنهم يشيرون أعصاب
حضرتك .. وتتذمرين من بيسى يرجس التى
تغنى ترانيمها بالليل ، حين تكون مضورة ..
(تتقدم الى نصف المسافة على العتبة وتصرخ) .
بيسى يرجس سوف تغنى فى أى وقت تشعر
فيه بالرغبة فى الغناء !

(نورا تحاول أن تعلق الباب ، ولكن
بيسى تدفعه بشدة ، وتهز نورا ممسكة بها
من كتفها) .

بيسى : أيتها العاهرة الحقيرة المتبرجة ، اتنى لا أتورع
عن أن أصمغ وجهك الأبيض اذا فعلت أقل
شيء يثيرنى .

نورا : (مذعورة) فلوثر ، فلوثر .

فلوثر : (يأتى مسرعا ، ويخلص نورا من قبضة ييسى)

كفى ، كفى ، ييسى ، ييسى ، دعى مسز كلبشرو
المسكينة فى حالها ، انها لا تود أن تؤذى أحدا ،
ولا تعنى الا بشئونها فقط .

ييسى : لماذا هى تحاول دائما أن تتكلم بتعال ، وتبدو

كانسان ذى سلطان فى وسط الناس !

نورا : (تنهالك على الأريكة مذعورة أثناء دخول

جاك كليثيرو . وهو شاب طويل قوى البنية فى
الخامسة والعشرين من عمره ليس فى وجهه
شئ من العزم الذى فى وجه نورا ، انه وجه
فيه الرغبة فى السلطة دون القدرة على نيلها .

كليثيرو : (فى انفعال) ما الخبر ؟ ماذا حدث ؟

فلوثر : لا شئ يا جاك ، لا شئ ، انتهت المسألة ، تعالى

يا ييسى ، تعالى .

كليثيرو : (الى نورا) ماذا فى الأمر يا نورا ؟ هل قالت

لك شيئا ؟

نورا : كانت تحاول أن تتشاجر ، وكل ما قلته لها أن

تترك هذا المكان وتبعد الى مسكنها وقبل

أن أعرف أين أنا اندفعت نحوى كائنم تحاول
أن تفترسنى !

كليثيرو (يتجه الى الباب موجهها حديثه الى بيسي)
اصعدى الى حجرتك يا منى بيرجس ، وحذار
أن تتعرضى لزوجتى . والا ساء الأمر بالنسبة
لك .. هيا .. هيا ..

بيسى : (بينما كليثيرو يدفعها خارج الحجرة) اعرف
من التى تدفعها الآن .. فأنا على أى حال أذهب
الى كنيسة .. ولست ك بعضهم ممن لا يذهب
الى كنيسة أو معبد صغير — أو حتى الى مكان
للاجتماع .. لو كان ابنى قد عاد من جبهة
القتال لأخذ بحقى .

(تفادر بيسى وفلوتر المكان ، ويفلق كليثيرو
الباب) .

كليثيرو (يتجه نحو نورا ، ويحيطها بذراعه) كفى ،
لا تلقى بالا الى هذه الكلبة العجوز يا نورا ..
يا حبيبتى سوف أضع حالا حدا لتدخلها .

نورا : ان عاجلا أو آجلا عندما أكون هنا بمفردى
ستأتى وتفعل شيئا متهورا .

(يقبلها) ليس هناك ما يدعوك للخوف من أن
تقوم بفعل متهور . سأحدث اليها غدا عندما
تكون في وعيها . سأقول رأيي فيها بصراحة
تصدمها فتعرف كيف تحسن سلوكها .. !

(تنهض نورا تسيوى المائدة ، تبصر
« الأوفروول » على الأرض فتقف ناظرة
اليه ، ثم تلتفت الى الكوفي الذي يقرأ
« بحث جينيرسكى » أمام المدفأة) .

نورا

: ويللى .. أهذا مكان لأوفروولك ؟

الكوفي

: (ينهض ويرفعه من الأرض) .. أه ، لن يسبب
أى ضرر للأرض ، أليس كذلك ؟ (يحمله الى
الغرفة الى الخلف) .

نورا

: (تنادى) يا عمتى بيتر — هيا .. يا عمى بيتر ،
الشاي معد .

(بيتر والكوفي يقبلان من الحجرة من
الخلف ، ويجلس الجميع لتناول الشاي ،
بيتر في زى كامل لفرقة الفورسترز ،
معطف أخضر موشى بالذهب ، سروال
أبيض ، حذاء ركوب وقميص بأهداب .
يحمل قبعة بحافة منخفضة ، بها ريشة
نعام بيضاء ، والسيوف في يديه .
يقضون بضغ دقائق وهم يأكلون في صمت ،

والكوفي يختلس النظر الى بيتر والازدراء
باد في عينيه . بيتر يعرف ذلك ويجلس
متمللا .

الكوفي : (باستقزاز) أتريد قطعة أخرى من الخبز
يا عم بيتر ؟
(بيتر يلتزم صمتا وقورا) .

كليثرو بالتأكيد سيكون اجتماعا عظيما الليلة ، يجب
أن نذهب يا نورا .

نورا : (بلهجة حاسمة) لن أذهب يا جاك ، تستطيع
أن تذهب اذا أردت .

الكوفي : أتريد السكر يا عم بيتر ؟
(صمت) .

بيتر : (منفجرا) الآن أتنوى أن تبدأ محاولتك
واثاراتك مرة أخرى ؟

نورا : والآن ، يا عم بيتر ، يجب ألا تكون حساسا
هكذا ، ويللى يسألك فقط اذا كنت تريد
السكر .

بيتر : هو لا يهمه مطلقا ان كنت أريد السكر أم لا .
هو فقط يحاول اغاظتى !

نورا : (للكوفي في غضب) ألا تستطيع أن تدعه

وشأنه يا ويللى .. ؟ اذا كان يريد السكر فليمد
يده ويأخذه بنفسه !

الكوفى : (الى بيتير) .. الآن ، اذا كنت تريد السكر ،
فلتمد يدك وتأخذه بنفسك !

كليثيرو : الليلة . أول فرصة تتاح لبرينان لاستعراض
قوته ، منذ أن اختاروه قائدا ، لماذا ، الله وحده
يعلم . ستكون فرصة رؤيته وهو يتبخر على
رأس جيش المواطن . حاملا علم المحارث
والنجوم .. (ناظرا بخبث الى نورا) ألم يكن
يجبك يوما يا نورا ؟

نورا : ربما كان كذلك .. أما أنا فلم أحبه أبدا ..
كنت أعتقد دائما بأنه على شئ من الغباء .

الكوفى : انهم يجلبون عارا كثيرا على هذه الراية هذه
الأيام .

كليثيرو : (باحتجاج) كيف يلحقون العار بها ؟

الكوفى : (بجدة) لأنه علم عمال ، ولم يقصد به أبدا

السياسة .. ماذا يعنى رسم محراث الحقل
يحمل نجوم الدب الأكبر .. سوى الشيوعية ؟

انه علم لا ينبغي اتخاذه الا ونحن نقيم المتاريس
للنضال من أجل جمهورية عمالية ؟

بيتر : (ينفث في استهزاء) يوقو .

الكوفي : (بغضب) لأى سبب تنفث ؟ ان عقلك هو عقل

مومياء . (ناهضا) من الأفضل أن أذهب ،

لأجد مكانا مناسباً لالقاء نظرة على محاربي

ايرلندا وهم يملكون . (يمضي الى الحجرة

ناحية اليسار ، ويعود « بكاسكتته ») .

نورا : (للكوفي) أوه يا ويللى ، انفض ملابسك

بالفرشاة ، قبل أن تمضى .

الكوفي : أوه ، انها تؤدي الغرض كما هي .

نورا : اذهب وانفضها بالفرشاة فى الدرج هناك (يتجه

الكوفي الى الدرج ، متمتما ، يخرج الفرشاة ،

ويبدأ فى نفض ملابسه) .

الكوفي : (مغنيا . متجها بالغناء الى بيتر أثناء ذلك) :

أوه ، أين ذلك العبد الحقير ،

مقضيًا عليه بقيود مهينة ،

الذى ان استطاع أن يحطم قيوده

فسوف يذوى تحتها ببطء ؟

قد وطننا الأرض التي .. حملتنا
العلم الأخضر يضيء .. فوقنا
الأصدقاء الذين خيرناهم ، في جانبنا
والعدو الذي نمقته .. أماننا !

بيتر : (بيتر يشب على قدميه في دوامة من الغضب)
أقول لك الآن يا صديقي الكوفي ، لآخر مرة ،
لن أتحمل بعد ذلك تلميحاتك الساخرة وأنت
تطوف متغنيا باهاناتك وشتائمك ، وتصبغ
عقل الانسان فتجعله يفكر ويقول أشياء تسقم
روحه بالخطيئة ! (أصبح في حالة هستيريا ،
رافعا قلحا ليقذف به الكوفي) والله ، سوف ..
كليثيرو : (ممسكا بذراعه) كفى ، لا شيء من هذا ،
لا شيء من هذا !

نورا : عمى بيتر ، عمى بيتر ، عمى بيتر !
الكوفي : (عند الباب يهم بالخروج) أوليس هذا الوغد
العجوز خبيثا يبدو وكأنه ابن غير شرعي لوالد
لقيط كان أبوه عريفا في الجيش المكسيكي !!
(يخرج) .

بيتر : (متحبا) ها هو سيخرج الآن ، ويتركني في

حالة من الاضطراب لا أستطيع معها أن أبدو
كما يجب عندما أسير الى الاجتماع .

نورا : (تب واقفة) أوه ، بريك ، هيا ، تقلد سيفك ،
واذهب الى اجتماعك ، حتى نجد — على
الأقل — ولو ساعة واحدة من الهدوء !

(تشرع في تثبيت السيف في منطقتة) .

كليثيرو : (محتداً) ناشدتك الله .. عجلي بإنهاء هذه
المهمة يا نورا .

بيتر : أتحاولون جميعا معاكستي واثارتى الآن ؟
نورا : (تلبسه قبعة المزينة بالريش) اس سش .
الآن ، ها هي قبعتك فوق رأسك ، انطلق !
(تدفعه في رفق بعيدا عنها) .

بيتر : (يذهب ، ويلتفت حين يبلغ الباب) الآن ،
لو أن ذلك الكوفي الشاب ..

نورا : اذهب .. اذهب ..

(يمضي) كليثيرو يجلس على الأريكة ، ويشعل
سيجارة ، ويتنظر في النار مفكرا . نورا ترفع
الأشياء من على المائدة ، وتضعها في الخزانة .

يسود صمت ، ثم تقبل نحوه في خفة ، وتجلس
الى جواره ..

نورا : (في رقة) ما الذى تفكر فيه يا جاك !

كليثيرو : أنا ؟ أوه ، لم أكن أفكر فى شيء .

نورا : لقد كنت تفكر فى ال .. اجتماع .. يا جاك .

عندما كنا مخطوبين وكنت أريدك أن تذهب

كنت تقول : فلتذهب الاجتماعات الى الجحيم

وكنت تقول انك تحس بأنك وحيد بين الجماهير

الهاتفة وأنا غير موجودة . ثم لم ينقض شهر على

زواجنا حتى بدأت لا تستطيع أن تبقى بعيدا

عنهم .

كليثيرو : أوه ، كفى حديثا عن الاجتماع . يسدو من

الطريقة التى تتحدثين بها أنك كنت تريدين منى

أن أذهب . مع أنك كنت دائما تلحين على فى أن

أترك جيش المواطن ، وقد تركته . ولا بد أن

ذلك يرضيك .

نورا : آى ، لقد تركته لأنك غضبت عندما لم يجعلوك

قائدا . ولم يكن ذلك من أجل خاطرى ،

يا جاك .

كليثيرو : سواء أكان من أجل خاطرك أم لا ، فانه لصالحك
أليس كذلك ؟

لم أنسى أن هذا هو عيد ميلادك ، هل نسيت ؟
(يلف ذراعه حولها) وأنت مسرورة بقبعتك
الجديدة ، أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ (يقبلها
بسرعة عدة مرات) .

نورا : (لاهثة) جاك .. جاك .. من فضلك ، يا جاك !
كنت أظن أنك قد مللت هذا الشيء منذ زمن
بعيد .

كليثيرو : حسنا .. لقد اكتشفت الآن أنني لم أمله بعد ،
على أى حال : مسز كليثيرو لا تريد القبل ،
بالتأكيد انها لا تريد ؟

(يقبلها ثانية) يا نورا الصغيرة ، الصغيرة
ذات الشفتين المتوردتين !

نورا : (تزيح في دلال ذراعه عنها) أوه ، نعم ، نورا
فتاتك الصغيرة ، الصغيرة الحمراء الشفتين ..
تكون فتاة صغيرة حلوة عندما تعتربك المنوبة ،
ولكن نورا فتاتك الصغيرة ، الصغيرة الحمراء

الشفقين يجب أن تنظف حذاءك كل صباح .

على أى حال .

كليثيرو : (فى حركة غاضبة) أوه ، على أى حال .. اذا

كنت ستحتدين !

(صمت)

نورا : يبدو وكأنك أنت الذى سوف تحتد ! .. فتفقد

أعصابك فى مرارة ، فى اللحظة التى أحاول فيها

أن أفتح فمى .

كليثيرو : أى غرابة أن يتحول القول الرقيق الى معانى

الحقد والضغينة !

نورا : انه لصعب على الواحدة منا أن تشغل دائما

عقلها بخلق أفكار لا يزيد مداها عن اشباع

رغباتك الخاصة .

(صمت)

نورا : (ناهضة) اذا كنا سنضيع الوقت هباء ، ونجلس

كزوج من الموميات الغربية ، فخير لى أن أقوم

بشئ من الخياطة أو أصنع شيئا آخر فى البيت .

(تنظر فى رجاء نحو الحظاظ قليلة ، هو

لا يتكلم ، تجلس فى خفة بجانبه ، وتلف ذراعها
حول رقبته) .

نورا : (فى ضراعة) آه ، جاك .. لا تكن شديد الغضب
هكذا !

كليثيرو : (فى عناد) غاضب ، أنا لست غاضبا ، لست
غاضبا البتة . انك أنت التى بدأت به .

نورا : (ملاطفة) أنا لم أقصد أن أقول شيئا غير عادى ،
أنت تغضب من الواحد فى سرعة أكثر من
اللازم ، يا جاك (فى نبرة عادية . كأن لم يكن
شئ يثير الغضب قد قيل) انك لم تعطينى
مصرف المساء بعد .

(كليثيرو يخرج فى صمت سيجارة لها
وأخرى لنفسه ويشعل الاثنتين) .

نورا : (محاولة أن تخلق حديثا) كم هو هادىء المنزل
الآن ، لابد وأنهم جميعا فى الخارج .

كليثيرو : (فى اقتضاب نوعا ما) أظن ذلك .

نورا : (تنهض من على المقعد) أنا فى شوق لأن أريك
قبعتى الجديدة ، لأعرف رأيك فيها . أتعجب أن
تراها ؟

كليثيرو : آه ، لا مانع لدى .

(نورا تمنع اجابة جادة ، تتردد لحظة ،
ثم تحضر القبعة ، وترتديها ، وتقف أمام
كليثيرو) .

نورا : حسنا ، ما رأى مستر كليثيرو في قبعتي
الجديدة ؟

كليثيرو : انها تناسبك يا نورا ، تناسبك حقا .

(ينهض ، ويضع يده تحت ذقنها ، ويرفع
رأسها ، تنظر اليه في خبث . ينحنى عليها
ويقبلها) .

نورا : هيا ، اجلس ، ولا تدعني أسمع منك كلمة أخرى
غاضبة بقية الليلة .
(يجلسان)

كليثيرو : (وذراعه حولها) يا نورا الصغيرة ، الصغيرة
المتوردة الشفتين !

نورا : (في حركة دلال من جسمها تجاهه) جاك !

كليثيرو : (مطبقا ذراعيه حولها) ماذا ؟

نورا : انك لم تكن لى أغنية منذ كنا في شهر العسل ،

غن لى واحدة الآن ، غن .. أرجوك يا جاك !

كليثيرو : أى أغنية ؟ « منذ أن رحلت ماجى » ؟

نورا

: أوه .. كلا يا جاك ، ليست هذه ، انها حزينة

جدا « عندما قلت انك أحببتني » .

(كليثيرو وهو يسلك حلقه يفكر برهة ،
ثم يشرع في الغناء . نورا تضع إحدى
ذراعيها حوله .. وتدفن رأسها في صدره ،
وتصفى في نشوة) .

كليثيرو

: (متغنيا أحيانا تتبع لحن « عندما كنا صغيرين
يا ماجي ») .

أزهار البنفسج كانت تعطر الغابة يا نورا .
معلنة عن سحرها للنحلة .

عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك يا نورا
وقلت أنت انك تحبينني أنا وحدي !

أزهار الكستناء تألقت خلال فرجات الشجر
يا نورا

وهزار صدح عاليا فوق شجرة
عندما قلت أول مرة أنا أحبك وحدك يا نورا
وقلت أنت انك تحبينني أنا وحدي
الترجس الذهبي الرداء تلالاً يا نورا

ورقص في نسيم المرج
عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك
يا نورا

وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

الشجر والطيور والنحل غنى أغنية ، يا نورا
عن سعادة أكبر تنتظرنا .
عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك
يا نورا

وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

(نورا تقبله) .

(تسمع نقرة على الباب ، ناحية اليمين ،
صمت أثناء اصغائهما .

نورا تلتصق بكليثرو ، نقرة أخرى أكثر
إصراراً من الأولى)

كليثرو : أنا فى دهشة . من يمكن أن يكون ذلك الآن ؟

نورا : (فى شيء من العصبية) لا تلق بالآ يا جاك ،

سوف ينصرفون بعد لحظة .

(نقرة أخرى ، يتبعها صوت) .

صوت : قومندان كليثرو ، قومندان كليثرو ، أنت

هنا ؟ رسالة من الجنرال جيم كونوللى .

كليثرو : اللعنة ؛ انه الكابتن برينان .

نورا : (فى قلق) لا تهتم به ، لا تهتم يا جاك . لا تحطم

سعادتنا . تظاهر بأننا لسنا هنا . دعنا نسى

كل شيء هذه الليلة ما عدا أنفسنا .

كليثيرو : (مُطمئِنًا اياها) لا تتزعجى يا حبيبتى ، سأرى

فقط ماذا يريد ، ثم أبعث به الى حال سبيله .

نورا : (مرتجفة) . لا . لا ، أرجوك يا جاك ، لا تفتح

الباب . أرجوك . من أجل خاطر حبيبتك

الصغيرة نورا .

كليثيرو : (ينهض ليفتح الباب) لا تكونى حمقاء يا نورا .

(كليثيرو يفتح الباب ، ويدخل شابا

فى كامل لباس جيش المواطن الايرلندى —

سترة خضراء ، وقبعة خضراء متدلّية

الجوانب ، مثبت فى جانب منها شارة

اليد الحمراء الصغيرة) . وحزام من

طراز سام براون فى جرابه مسدس ، يحمل

رسالة فى يده . عندما يدخل يرفع يده

فى رشاقة محييا كليثيرو . الشاب هو

كابتن برينان) .

الكابتن برينان : (معطيا الرسالة لكليثيرو) بلاغ من الجنرال

كونوللى .

كليثيرو : (يقرأ ، وبينما هو يفعل ذلك ، يثبت برينان

عينيه على نورا ، التى ينتابها الاعداء وهى

تجلس على الأريكة) :

« على القومندان كليثيرو أن يتولى قيادة

الكتيبة الثامنة لجيش المواطن الايرلندي التي
سوف تحتشد للسير الى الاجتماع في تمام
الساعة التاسعة . وعليه أن يرى أن جميع
الوحدات مجهزة بسلاح كامل ، مؤونة يومين ،
وخمسون طلقة ذخيرة .

في الساعة الثانية صباحا سيتحرك الجيش من
« قاعة الحرية » في هجوم استطلاعي على قلعة
« دبلن » .

القائد العام . كونوللى

كليثيرو : لست أفهم هذا ، لماذا يلقبني الجنرال كونوللى
بالقومندان ؟

الكابتن برينان: عينتك هيئة الأركان قومنداننا ، وقد وافق
الجنرال على اختيارهم لك .

كليثيرو : متى حدث ذلك ؟

الكابتن برينان: منذ أسبوعين .

كليثيرو : كيف لم تصلنى كلمة عن ذلك ؟

الكابتن برينان: لقد أرسل الخبر اليك .. أنا نفسي حملته .

كليثيرو : لمن أعطيته إذن ؟

الكاتبين برينان: (بعد صمت) أعتقد أنني أعطيته لمسز كليثيرو
هذه .

كليثيرو : نورا .. أسمعين ذلك ؟

(نورا لا تجيب) .

كليثيرو : (في صوته نبرة جافة) نورا .. الكاتبين برينان

يقول : انه أحضر رسالة لى من الجنرال
كونوللى . وأنه أعطاها لك .. أين هى ؟ ماذا
فعلت بها ؟

نورا : (تجرى نحوه ، وتلف ذراعيها حوله في

ضراعة) جاك .. أرجوك يا جاك ، لا تخرج
الليلة ، وسأخبرك .. سأشرح كل شيء ..
أصرفه ، وأبق مع حبيبتي الصغيرة نورا ذات
الشفقين المتوردتين .

كليثيرو : (ينحى ذراعيها عنه) كفى عن هذا الهراء الآن ،

أريد أن أعرف ماذا فعلت بالخطاب ؟

(نورا تمشى في ببطء الى الاريكة ثم
تجلس) .

كليثيرو : (في غضب) لماذا لم تعطيني الرسالة ؟ ماذا

فعلت بها ؟ .. (يهزها من كتفيها) ماذا فعلت
بالرسالة ؟

نورا : (منفجرة) أحرقتها ، أحرقتها ! ، هذا ما فعلته

بها ! هل سيستحوذ الجنرال كونوللى وجيش
المواطن على كل اهتمامك ؟ هل سيصبح بيتك
مجرد مكان للراحة ؟ هل سأصبح أنا مجرد
شئ يمدك بالمتعة فى الليل ؟ ان غرورك سيصبح
دمارا لك ولى من بعد .. هذا هو الذى يثيرك :
لأنهم قد عينوك ضابطا .. سترى فيما ستفعله
رسالة مجيدة ، بينما تستطيع صغيرتك نورا
ذات الشفتين المتوردتين أن تظل جالسة هنا ،
متخذة من وحدة الليل رفيقا !

كليثيرو : (فى حدة) ، لقد أحرقتها ، هل فعلت ذلك ؟

(يقبض على ذراعها) والآن ، يا سيدتى ..

نورا : دعنى .. انك تؤلمنى !

كليثيرو : انك تستحقين الايلام .. أى رسالة تجيء الى

فى المستقبل ، احرصى على أن تصل الى ..

أسمعين .. احرصى على أن تصل الى ..

(يذهب الى الخزانة ويتناول حزام سام)

براون ويتمنطق به ، ثم يضع مسدسا

فى الجراب .. يرتدى قبعته ، وينظر

ناحية نورا .

بينما يدور هذا الحوار .. وبينما كليثيرو
يستعد يصفر برينان بصوت خافت
« أغنية الجنود » .

كليثيرو : (عند الباب ، يهم بالانصراف) لا داعي لأن
تظلي متيقظة في انتظاري ، فاني اذا عدت على
الاطلاق فلن يكون ذلك قبل الساعة السادسة
صباحا .

نورا : (بمرارة) .. لا يهمني حتى اذا لم تعد أبدا !

كليثيرو : (الكابتن برينان) .. هيا ياند .

(يخرجان ، صمت ، تنزع نورا قبعتها
الجديدة من على رأسها ، وبحركة ساخطة
تطوح بها الى الجانب الآخر من الحجرة ..
نقرة رقيقة على الباب ، جهة اليمين ،
حيث يفتح ، وتدخل مولسر الى الحجرة .
انها تناهز الخامسة عشرة ، ولكنها تبدو
وكأنها في حوالى العاشرة فقط لأن آثار
السل قد اذبلتها .

منهكة بصورة تدعو للثناء .. تمشي في
اغياء ، وتسعل سعالا متتابعا . تخطو
الى نورا .

مولسر : (لنورا) أُمى ذهبت الى الاجتماع ، وقد

أحسست بوحدة مفزعة . ولذلك فقد نزلت
لأرى اذا كنت تسمحين لى بالجلوس معك ،

لأننى فكرت أنك ربما لا تذهين .. أنا فى خوف
مفرع من أن أموت يوما ما حين أكون وحدى ..
كثيرا ما أحسدك يا مسز كليثيرو ، وأنا أرى
الصحة التى تتمتعين بها ، والمكان الرائع الذى
لك هنا ، وأتعجب ما اذا كنت سأتسع بالقوة
الكافية لكى أرى بيت رجل ما .

أوه لابد وأن هؤلاء عددا آخر من فرقة البنادق
الدبلنية مسرعين الى الجبهة .

(وقبل أن تتوقف مولسر عن الحديث مباشرة ،
تسمع على البعد موسيقى جوقة نحاسية تعزف
لحنا يصاحب فرقة عسكرية فى طريقها لأخذ
القارب متوجهة الى الجبهة . اللحن الذى تعزفه
هو .. « الطريق طويل الى تبريرى » .

عندما تصل الجوقة الى الكورس تكون الفرقة
قد انحدرت فى الشارع الذى به منزل نورا ،
وتسمع أصوات الجنود يغنون فى قوة ككورس
للأغنية :

الطريق طويل الى تبريرى ، الطريق طويل ،

الطريق طويل الى تبريري ، الى أجمل فتاة
أعرفها !

وداعا يا بيكاديللي ، وداعا يا لستر سكوير .
الطريق طويل ، طويل الى تبريري ، ولكن قلبي
هناك بالفعل !

(تظل نورا ، ومولسر صامتين ،
تصفيان . عندما ينتهى الفناء وتخفت
الموسيقى على البعد ثانية ، تظهر بيسي
يرجس عند الباب جهة اليمين ، وهو
الذى تركته مولسر مفتوحا) .

بيسى : (تتحدث فى اتجاه الحجرة) الرجال هناك
يتقدمون نحو الخطر المرعب المجهول
بينما الحشرات تزحف لتغذى بخير الأرض !
لكنكم لن تفلتوا من السهم الذى يطير فى
الليل ، أو من المرض الذى ينهش فى النهار ..
وأما البعض الذين قد يوصفون بحضرة السيدة
وما شابه ذلك ، فسوف ينثرون بعيدا كالغبار
فى الظلمة !

(تنصرف بيسي ، نورا تتسلل وتغلق
الباب فى هدوء . تعود الى الأريكة ، وفى

تعب تلقى بنفسها عليها ، الى جوار
مولس (.

مولس (بعد فترة صمت ، وسعال) هل بقي أى انسان
يا مسز كليثرو لديه ذرة من العقل ؟

ستار

الفصل الثاني

حانة رجة على ناصية الشارع الذي تلقى فيه الخطب على الجمع من المنصة رقم ١ . الركن الذي يظهر للمتفرجين من الحانة هو الركن الجنوبي . البار الذي يبدأ في الخلف في نقطة تقع تقريبا عند ربع اتساع المسافة الظاهرة ، يمتد عبر ثلثي طول خشبة المسرح ، ويختفى الى اليسار متخذا انحناءة دائرية . فوق البار صنادير البيرة وكؤوس وابريق . الثلاثة الأرباع الباقية الى الخلف تشغلها نافذة طويلة واسعة ذات مصراعين . وإلى جوار هذه النافذة على اليمين استراحة صغيرة مفروزة على شكل صندوق وبجانبتها باب متحرك ذو مصراعين ، هو المدخل الى الحانة من تلك الجهة . وخلفه رف ليضع عليه الرواد أقداح الشراب . وتحت النافذة أربعة ذات وسائل . ووراء البار الى الخلف يمكن رؤية الرفوف الممتدة بطول البار . وعلى هذه الأرفف يمكن رؤية نهاية (أو بداية) صفوف الزجاجات . يرى البارمان وهو يمسح الجزء الظاهر من البار . تقف روزى على البار تعبت بما تبقى من الويسكى في قدها . هي فتاة قوية حسنة القوام في العشرين من عمرها جميلة وجريئة في سلوكها . ترتدى بلوزة صفراء عارية الرقبة بطريقة توحي بالاغراء الواضح . وثوبا من التويد الرمادى ، وجوربا وحذاء لونهما بنى . تختفى البلوزة ومعظم الثوب تحت شال أسود . لا ترتدى قبعة .

في شعرها حلية مزينة بالجواهر رخيصة لامعة موضوعة
بصورة متأنقة .

الزمن بعد ساعة من الفصل السابق .



البارمان : (يمسح البار) .. ليس لديك عمل كثير الليلة ،

يا روزي ؟

روزي : لعنة الله على سوء الحال يا توم . ان أحدا

لا يهتم كثيرا بفتاة جميلة في ليلة كهذه .. فهم

جميعا في جو ديني .. يرسم الوقار على

وجوههم فردا فردا وهم يسرون الى الاجتماع .

انك لتحسب أنهم في صحبة القديسين المجيدة .

وجيش الشهداء النبيل يتهادى في شوارع

الفردوس . انهم جميعا يفكرون في أشياء

أسمى من أربطة سيقان فتاة .. انه اجتماع

هائل ، لديهم أربع منصات ، واحدة منها

بالخارج مباشرة أمام النافذة .

البارمان : أوه ، نعم ، يقينا أنه عندما يقترب الخطيب

(مشيرا بيده) من هنا ، فان من الممكن أن

تريه بوضوح وتسمعي كل ما يطلقه من حديث

تقريبا .

روزي : انه ليس من المزاج أن تحاول الحصول على
خمس وأربعين شلنًا في الأسبوع لمعاشك
وغسيل ملابسك ، وبعدئذ يفرضون جنيتها
ضريبة على حجرتك الخاصة كلما أحضرت زائرا
لقضاء الليلة .. لو أمكنتي فقط توفير جنيهين
للحصول على ملابس أفضل ومسكن أفضل ،
فإن كل شيء في الحديقة سوف يبدو رائعا .
اشت ، حتى نسمع ما يقول .

(يظهر من خلال النافذة خيال رجل طويل
القامة يخطب في الحشد . ينظر البارمان
وروزي من النافذة ويصغيان)

صوت الرجل: انه لشيء مجيد أن نرى الأسلحة في أيدي
الاييرلنديين . يجب أن نعود أنفسنا على منظر
السلاح ، ويجب أن نعود أنفسنا على فكرة
السلاح ، ويجب أن نعود أنفسنا على استخدام
السلاح .. إن اراقة الدماء شيء منظم ومطهر ،
وإن الأمة التي تعتبره منتهى الهول لها أمة
فقلت رجولتها .. هنالك أشياء كثيرة أفطم
من اراقة الدماء ، والعبودية احداها !

(يتحرك الخيال مبتعدا الى اليمين ،
ويختفى عن النظر والسمع) .

دووى : ليكن فى علمك أن ما يقوله هذا الرجل هو
الحقيقة المقدسة .

البارمان : لو أننى كنت أصغر من ذلك قليلا لانعمست
بجنون فى وسط هذه المعمة !

دووى : (التى ما زالت تطل من النافذة) أوه ، ها هما
الرجلان يهرولان مرة أخرى الى هنا من أجل
شرايهما !

(يدخل پيتر وفلوثر محدثين ضجة ..
تملكهما الاستشارة والتشبع والحماس
بتأثير ما شهداه وسمعاه . تجيش فيهما
العاطفة ، بحيث أنهما حين يشربان وحين
يتحدثان يشربان ويتحدثان وقد تملكهما
الانفعال العاطفى . پيتر يتقدم صاحبه
الى البار) .

پيتر : (للبارمان فى لهجة متعجلة) نصفان من
الويسكى .. (لفلوثر) ان اجتماعا كهذا يجعلنى
دائما أحس كما لو كنت أستطيع أن أعب بحيرة
ايرن حتى أفرغها !

فلوثر : لا يمكنك أن تشعر بشيء غير ذلك فى وقت
كهذا تنبض فيه روح الانسان محاولة أن

تنطلق لتتاضل في سبيل الحق وقدماه ترتعدان
على الطريق المؤدى ربما الى المقصلة ، وفي
أذنيه يطن الصوت الخابي البعيد لطلقات البنادق
التي قد تودى بآخر رمق من الحياة لم يزل
يختلج في جسده !

بيتر : لقد شعرت بغصة تلتهب في حلقى عندما سمعت
الفرقة تعزف أغنية « الجنود » متذكرا آخر
مرة سمعتها فيها ونحن نسير في التشكيل
العسكري ، والناس على الجانبين يحلقون
فينا ، ونحن نحمل معنا كبرياء دبلن واصرارها
الى قبر وولف تون .

فلوثر : ان تطلق العنان لرجال دبلن تجدهم يندفعون
بأقصى قوة للنيل من أى شىء يحاول أن يقف
بينهم وبين ما يريدون ، بينما يعرج الفتى الرقيق
الماكر هاربا من أقل بادرة تعرضه للخطر !

بيتر : (للبارمان في عجلة) اثنان آخران ، يا توم !..
(لفلوثر) لقد كانت ذكرى كل الأشياء التي
تمت ، وكل ما قاساه الناس تموج في ذهني ..

كان كل عصب في جسدى يرتجف لفعل شيء

متهور !

فلوثر : ورغم أنني كنت محشورا في ذلك الجمع ، فقد

كنت أصغى الى الخطب التي تنهمر فوق رؤوس
الناس كما ينهمر المطر فوق الغلة ، وخلا ذهني

من كل الأفكار المشينة ، وقلت لنفسى : تستطيع

أن تموت الآن يا فلوثر ، فقد رأيت أطياف

أحلام الماضي تثب الى الحياة في أجساد رجال

أحياء ، يشبتون أننا اذا كنا بدون ذرة من

الشجاعة ، فقد أصبحنا على عكس ذلك الآن !

انظر هنا (يمد ذراعه أمام وجه بيتر ويشمر

كمه) . كان الدم يغلى في عروقى !

(مرة أخرى يتحرك على اطار النافذة خيال

الرجل الطويل مخاطبا الناس) .

بيتر : (لفلوثر ، غير منتبه ، في فورة حماسه الى

ظهور الخطيب) لقد كنت أتحرق لأستل سيفى ،

وألوح به ثم ألوح به فوق رأسى —

فلوثر : (ينهر بيتر) هلا كففت عن هذرك لحظة

يا رجل ، وتركتنا نسمع ما يقول !

صوت الرجل: أيها الرفاق .. جنود جيش المتطوعين الايرلنديين وجيش المواطن ، اننا مبتهجون لهذه الحرب الرهيبة . لقد كان قلب الأرض العجوز في حاجة لأن يتدفأ بنبيذ ميادين القتال الأحمر .. ان مثل هذا التكريم الجليل لم يقدم الى الله من قبل : قربان ملايين الأرواح التي توهب بسرور محبة للوطن . ويجب أن نكون على استعداد لاراقة ذلك النبيذ الأحمر ذاته وبالتضحية المجيدة ذاتها ، لأنه بدون اراقة الدماء فلن يكون هنالك خلاص !

(يتحرك الخيال مختفيا عن النظر والسمع) .

فلوثر : (يزدرد ما تبقى في كأسه من شراب ويندفع خارجا) هيا يا رجل فهذا شيء أروع من أن نفوتنا !

(ينتهي بيتر من شرابه ببطء وأثناء خروجه ماسحا فمه بظهر يده ، يصطدم بالكوفي الذي كان مقبلا . فيشد قامته على الفور كديك صغير ، ويخرج وقد دفع ذقنه الى الأمام مكتسبا وجهه بنظرة وقار يشوبها الحقد) .

الكوفي : (أمام البار) أعطنا كوبا من البيرة ناشدتك الله ،
حتى أفيق من صدمة رؤيتي للمنظر الذي يجري
بالخارج !

روزي : (تقبل الى البار متحفزة للعمل وتقف قريبا من
الكوفي) وأخرى لى يا تومى ، (للبارمان)
لقد طلبها الشاب بطرف عينه .

(يحضر البارمان الشراب للكوفي . ويتركه
فوق البار تخطفه روزى)

البارمان : آيه ، انتظرى ، انتظرى ، يا روزى !

روزي : (للبارمان) لماذا تسألنى أن أنتظر ؟ ألم تسمع
الشاب يقول انه لا يقدر أن يرفض شيئا لفتاة
صغيرة جميلة ؟ (للكوفي) أليس ذلك صحيحا
يا جيجز ؟ (الكوفي لا يقول شيئا) . ألم أكن
أعرف يا تومى أن كل شيء سيكون على
ما يرام ؟ يكفى روزى أن تتفحص شابا لتكتشف
ما يدور فى عقله من أفكار . أليس ذلك صحيحا
يا جيجز ؟

(يتلملم الكوفي قليلا ويشد قبعته فوق
عينيه ويتعد) .

روزی : (تتبعه) اجتماع عظيم ذلك الذي ينقصد بالخارج . حسنا ان الأمر متروك لنا جميعا ، على أية حال ، لنقاتل من أجل حريتنا .

الكوفي : (للبارمان) اثنان آخران ، من فضلك (لروزی) حرية ! ما فائدة الحرية ان لم تكن حرة اقتصادية ؟

روزی : (مؤكدة بمد ذراعها وتحريك اصبعها) لقد استخدمت نفس هذه الكلمات قبل أن تحضر مباشرة . قلت : هناك كثير من المضللين الذين لن يعرفوا معنى الحرية حتى لو تلقوها عن أمهاتهم .. (للبارمان) ألم أقل ذلك يا تومي ؟

البارمان : لا أذكر .

روزی : لا ، ليس صحيحا أنك لا تذكر . تذكر أنك قلت أنت نفسك ان كل شيء كان مجرد فقاعة في اناء . حسنا ، وقلت أنا : فقاعة في اناء أو غير فقاعة ، فانهم لن يدفعوا روزی ريدموند لأن نقاتل في سبيل حرية لا تستحق أن يفوز الانسان بها في اليانصيب !

الكوفي : ليس هناك سوى حرية واحدة بالنسبة للعامل :

السيطرة على وسائل الإنتاج ، وسعر العملة ،
ووسائل التوزيع . (ينقر بخفة على كتف روزى)
انظرى هنا ، أيتها الرفيقة ، سأترك لك هنا فى
الليلة القادمة نسخة من كتاب جينرسكى :
بحث فى نشأة ، وتطور ، وتدعيم الفكرة
التطورية للبروليتاريا .

روزى : (تلقى بشالها على البار ، كاشفة عن رقبة
مفتوحة تظهر جانبا كبيرا من صدرها الأبيض) .
لو أخننت رأى روزى : لقات لك انه من
المفجع أن ترى شابا يفكر فى أى شىء ،
أو يعجب بأى شىء عدا الجوارب الحريرية
الشفافة التى تظهر شكل سيقان فتاة صغيرة !
(الكوفى وقد تملكه الخوف يتعد قليلا) .
روزى (تتبعه) . فى الحديقة فى ظل أمسية
صيفية دافئة ، مع عروسك المقبلة ، عروسك
الصغيرة الحبيبة ، تقبّلها وتعانقها (تحاول أن
تحيط رقبته بذراعيها) تقبّلها ، هه ؟

الكوفى : (خائفا) ايه ، ماذا تفعلين ؟ دعك من هذا

الآن ؟ دعك من هذا . لدى أمور أهم من
مطاردة الفتيات !

(يتحول عنها ولكن روزى تتبعه
وتواجهه) .

روزى : أوه ، يا حبيبي الصغير ، يا حبيبي الصغير
الخبول ! انك لم يحدث أن أمسكت يد فتاة
من قبل ، ولا تعرف كيف تداعب فتاة صغيرة !
(تقرصه تحت ذقنه) دغليغه في ذقنه ، دغليغه
في ذقنه !

الكوفي : (يفلت منها ويجري الى الخارج) ايه ، كفى
عن هذا الآن ، لا أريد أن تكون لى علاقة
بفتاة مثلك !

روزى : (محترمة) يا يسوع ! ان بعضنا كان يجب أن
يكون في دير ، يقضى أجازاته راكعا على
ركبتيه ، يعد حبات مسبحة ، ويدق على صدره
حتى يكاد يخلعه .

الكوفي : (بالخارج) كوكو وو — وو !
(پيتر وفلوثر يقبلان ثانية ، تتبعهما
مسز جوجان ، تحمل طفلا بين ذراعيها .
يتجهون الى البار) .

بيتر

: (بغضب متألم) انه لشيء فظيع أن هذا الكوفي
لا يستطيع أن يدعني أمره دون أن يشاكسني !
هل سمعته يقول كوكوو ، ونحن نمر ؟

فلوثر

: (متضايقا) لا يمكن أن تظل أذنای منتصبين
على الدوام لسماع كل همسة صغيرة تسبح
حولی ! فقاعدتی هي ألا أفقد أعصابی حتى
يصبح التحكم فيها شيئا مدمرا . ليس في كلمة
كوكوو ، أى انتقاص من شأنك ، أليس كذلك ؟

بيتر

: (داعم العينين) ليست الكلمة ، وانما الطريقة
التي يقولها بها : انه لا يقولها أبدا واضحة ،
بل يغغم بها بانحناءات مهتزة كمتنوعات على
النای !

فلوثر

: آه ، وهل هناك فرق اذا ما قالها متنوعات على
الترومبون ! (لمسز جوجان) ماذا تريدین أن
تشربی یا سيدتی ؟

مسز جوجان: نصف ويسكى يا فلوثر .

فلوثر

: (البارمان) ثلاثة أنصاف يا تومى .

(يحضر البارمان الشراب) .

مسز جوجان: (تشرب) ان زى فرقة الفورستز لىو زى

بدىع ! لا أعتقد أنى رأيت أجمل منه فى تمثيلية

صامتة .. وأجمل ما فيه فى نظرى هو ريشة

النعام .. حين تسرون وأراها تهتز ، وتروح

وتجىء ، وتتراقص يخل الى أنى أنظر الى

كل منكم معلقا فى طرف جبل ، عيونكم منتفخة

وسيقانكم تنثنى وترتج لاهتى الأنفاس ، وأنتم

تحاولون الموت فى سبيل ايرلندا !

فلوثر : اذا كان أحدهم معلقا فى طرف جبل ، فان ذلك

لن يكون فى سبيل ايرلندا !

بيتر : هل تنوى أن تبدأ ألأعيب المشاكسة والمضايقة

التي يلعبها الكوفى مع انسان ليس هناك كثيرون

يمكن أن يقولوا : انه قد فاته أن يحج الى

بودنستاون (١) طوال خمسة وعشرين عاما !

فلوثر : أنت دائم الشرثرة متباهايا بالذهاب الى

بودنستاون . أتظن أنه لم يذهب أبدا الى

بودنستاون أحد سواك ؟

(١) مدفن الزعيم الايرلندى وولف تون ١٧٦٣ - ١٧٩٨ م

(المترجم)

بيتر : (في أسي) لست أنباهي ، ولكن لا يمر عام
أذهب فيه الى هناك دون أن أقتطف ورقة من
الأكاليل من ضريح تون ، واليوم أوشك كتاب
صلواتي أن يمتلئ بها .

فلوثر : (بازدرء) اذن لفلوثر رأى مناقض في هؤلاء
الذين يضعون أوراق اللباب في كتب صلواتهم .
مغتصبا بذلك مكان رجال الدين محاولا أن
يحيط نفسه بهالة أعظم من هالة القديسين فيبدو
وكأنه يضع حبل رأسه الشفق الشمالي
المتلألئ ! (في دراسة) بالتأكيد لا يهمني البتة
إذا كنت قد نمت في بودنستاون ! يمكنك أن
تتناول افطارك وغداءك وعشاءك على القبر في
بودنستاون ، إذا شئت أن تفعل من أجل
فلوثر !

مسز جوجان : أوه ، لا تبدأوا شجارا يا أولاد ، ناشدتكما
الله ؛ كنت فقط أقول ما أجمله من زى — أجمل
من الرداء الاسكتلندي ، ذلك أنى وليسامحنى
الله ؛ أعتقد أن الرداء الاسكتلندي دائما قليل
الاحتشام .

فلوثر : آه ، بالتأكيد ، عندما تنظرين اليه ، لابد أن

تساءلى عما اذا كان الرجل هو الذى يجعل
الزى مضحكا أم ان الزى هو الذى يجعله
مثيرا للسخرية !

البارمان : كفى هذا ، حاولوا أن تتكلموا بهدوء ، هل
تسمعون ؟ لا نريد صياحا هنا .

(يدخل الكوفى تتبعه بيسى برجس
ويتجهان الى الطرف المقابل من البار ،
ويوجهان أنظارهما للمجموعة الأخرى) .

الكوفى : (للبارمان) .. كوبان من البيرة ..

بيتر : ها هو قد حضر ، كنت أعلم أنه لن يتأخر عن
اللقاء بى .

بيسى : (تحدث الى الكوفى لكنها فى الحقيقة توجه
الكلام الى المجموعة الأخرى) لا أستطيع
وحياتى أن أفهم كيف يمكن أن يسموا أنفسهم
كاثوليكاً ، فى حين أنهم لا يرفعون اصبعاً دفاعاً
عن بلجيكا الكاثوليكية البائسة .

مسز جوجان : (ترفع صوتها) .. وماذا عن ايرلندا الكاثوليكية
البائسة ؟

بيسى : (موجهة الحديث لمسز جوجان) .. لا تتدخلى

فيما لا يعينك يا مدام ، ودارى غباءك بالشراب .

بيتر : (قلقا) لا تلقى بالا اليها ، لا تهتمى بها . كل

ما هنالك أنها تعذب نفسها بحثا عن شجار مع

شخص ما .

بيسى : ان عاصفة من الغضب تضطرم فى قلبى ، عندما

أفكر فى الجنود الانجليز الساكنين ، ومعهم

وحيدى مبتلين بالمياه وغارقين فى الدماء ،

يتحسسون طريقهم الى موت مدمر ، تحت وابل

من القذائف ! شباب تتوهج فيهم رغبة الحياة

المشرقة ، وقد أضجعوا أجسادهم البيضاء

الممزقة فى شرائح دامية ومهلهلة ، على المذبح

الذى شيده الله نفسه ليضحي عليه الأبطال !

مسز جوجان : أليس من الطريف أن نصغى الى فتاة ، مطأطء

الرؤوس فى صمت ، ونحن نعلم أن بعضهم

يعرف عن برميل من البيرة أكثر مما يعرف عن

القديسين المباركين .

فلوثر : هشت ، انها دائما تكون خطرة ومشينة عندما

تسرف فى الشراب . وأسلم طريقة لمنحها من أن

تستمتع بحقدتها ، هي أن تغرق أفكارنا في حقيقة أنها أتت خرجت من زمرة العقلاء من الناس .

بيسى : إن رؤية بعض النساء المتسكعات هذه الأيام شيء يجعل الإنسان يتحسر .. إن امرأة بمفردها تشرب مع شزيمة من الرجال يصعب أن تكون مثلاً لجنسها .. المرأة التي تشرب مع امرأة شيء ، والمرأة التي تشرب بمفردها هي امرأة مع ذلك — أما المراهقات فيمكن أن يوضعن في فئة مستقلة — لكن امرأة متزوجة في مستقبل العمر تجعل نفسها محور دائرة من الرجال إنما هي امرأة متبجحة وعنيدة لا تقيم لبيتها وزناً .

الكوفي : (لبيسى) عندما أفكر في كل المشاكل التي تواجه العمال يصيبني الغثيان حين أنظر إلى أولئك الشواذ يتسكعون آخذى زيتهم كشخصيات ساخرة خضراء ضلت طريقها خارج حانوت للعب الأطفال !

بيتر : يا الهى العظيم ، ألهمنى الصبر على سماع هذا الكوفي اللعين وهو يستفزنى من الطرف الآخر للحانة !

مسز جوجان: (تغمس اصبعها في الويسكى وتبلل به شفتي

طفلها) ان سيسى جوجان امرأة عاشت ما يقرب

من خمسة وعشرين عاما في غرفتها الخاصة ،

وفوق أنها توقف النهار لجيرانها ، لم يحدث

أبدا أن أدخلت رأسها فيما يتعلق بشئون غيرها

من الناس ، بينما هي تعرف أن بعضهم

لا يستريح أبدا الا اذا نصبوا أنفسهم رقباء

على أفعال الآخرين !

(تهم ييسى بالرد عندما يظهر على النافذة

مرة أخرى الخيال الطويل الداكن ، ويسمع

صوت الخطيب وهو يخطب في انفعال) .

ان الشهور الستة عشر الماضية كانت أمجد فترة

في تاريخ أوروبا . البطولة عادت الى الأرض .

ان الحرب شيء رهيب ، ولكن الحرب ليست

شرا . ان الناس في ايرلندا يفرعون من الحرب

لأنهم لا يعرفونها . ان ايرلندا لم تعرف نشوة

الحرب لأكثر من مائة عام . وعندما تأتي الحرب

الى ايرلندا يجب أن نرحب بها كما نرحب بملاك

من عند الله !

(يتعد الخيال عن النظر والسمع) .

صوت

الكوفي : (لجميع الحاضرين) .. مخدوع .. مخدوع

ليست هناك سوى حرب واحدة تستحق أن
يخوضها الانسان : الحرب في سبيل التحرر
الاقتصادي للبروليتاريا .

بيسي : يمكنهم أن يتباهوا كما يريدون ، ولكنه من

الأنسب لبعضهم أن يصلحوا من سلوكهم ،
ويكفوا عن بث الكشافين لاستطلاع مقدم
مفتش (جمعية) القديس قنسنت دي بول ^(١) ،
خشية أن يضبطوا وهم يحتسون كوبا من
البيرة ؛ ساخرين من المفتش باصطناع وجهه
ملائكى متألق يريق الخداع والأكاذيب !

مسز جوجان : واحدى الفتيات تقف متضلبة خلف بابها وأذناها

منتصبتان تصغى لما يقال ، مشجونة الى درجة
التوتر بالحسد لاحدى الجازات التى تجاهد
للحصول على مطالب الحياة القليلة ، التى
لا يمكن أن تنالها الا بالسعى الشاق اذا كانت

(١) - اشارة الى جمعية القديس قنسنت دي بول وهى

جمعية خيرية تساعد الفقراء ، ويقوم أحد رجالها بالتعرف
على من يستحقون المساعدة فعلا . (المترجم) .

ستراعى نصوص القانون وتقاليده الكنيسة !

بيتر

: (لمسز جوجان) لو كنت منك يا مسز جوجان

لقابلت ملاحظاتها الحادة بصمت القوى الذى

يحول دون كلماتها المكيدة ودون النفاذ الى

مشاعرك . ان من الأفضل دائما أن يترك هؤلاء

الناس لا تتقام الله !

بيسى

: بيسى بيرجس لا تزعم أنها تعرف الكثير ،

فلم يكن عقلها متغطرسا أبدا ، والحمد لله ،

ولكنها تسعى لتجميع المعرفة وفق ما يمليه

ضميرها : قاعدة فوق قاعدة ، وسطا فوق سطر ،

قليل هنا وقليل هناك . ولكنها (محركة شالها

فى انفعال) وشكرا للمسيح ، تعرف متى جاءت

الى الحياة ، وأين جاءت ، وكيف جاءت ، بينما

هناك البعض الذين تعرفهم يزبنون اصبعهم

بخاتم زواج جيد الصقل ، يقعون فى ورطة اذا

طلب منهم اظهار وثيقة زواجهم !

مسز جوجان: (تثب الى وسط المكان فى عاصفة هوجاء من

الغضب المتشنج الهستيرى) أيتها الأفاكة الخبيثة

المتبجحة ، ان خاتم زواجى قد استحققته عن

جدارة يقضاء عشرين عاما الى جانب زوجي ،
 الذي يستريح الآن في السماء ؛ والذي زوجه
 الى الأب ديمسي ، في كنيسة سانت جود ، في
 أسبوع عيد الميلاد من عام ألف وثمانمائة وخمسة
 وتسعين ، وكل طفل حي أو ميت أنجبته جيني
 جوجان منذ ذلك الحين جاء وفقا لحدود الوصايا
 العشر ! .. وهكذا أكثر مما يمكن أن يقوله
 بعضكم ممن تحفظهم من هول الدمار بضع
 فضائل خاملة ، تخمدنها في النوم أول همسة
 للاغراء ؛ ومن لن يميزوا بين خطيئة وأخرى
 الا في يوم غسلهم الأخير فقط ، ومن يستغلون
 ضوء النجوم المتألثة الطاهر للانغماس في خطايا
 ليلة عابثة !

بيسى : (تقفز لتواجه مسر جوجان مصفقة يديها بحدة
 لتأكيد ملاحظاتها) أنت أيضا كاذبة أيتها
 السيدة المتحجرة المتعدية على طيبة الآخرين ،
 لقد جفت روحك في فنون الخداع ، حتى
 تبخرت منها كل قطرة من الاحترام الجدير
 بالأثني اذا ما نظرنا الى متاوراتك المدبرة مع
 الرجال !

البارمان : كفى ، كفى ، تحدثوا يهدوء . لا نريد شجارا هنا ، لا نريد شجارا هنا الآن .

فلوثر : (محاولا تهدئة مسز جوجان) كفى يا چينى ، چينى ، ان من المشين تشويه ليله كهذه بالشجار ، ان ذلك لا يتفق والشعور بالأمل الذى يجب أن يملأنا ، بدلا من أن نكون على العكس !

بيتر : (محاولا تهدئة ييسى) أنا فى حالة سيئة جدا يا مسز بيرجس ، والشجار يتركنى ضعيفا مدة طويلة بعد ذلك ... أرجوك يا مسز بيرجس أن تحاولى أن تحترمى نفسك قليلا قبل أن يقع ضرر .

ييسى : (تدفع بيتر بينما دفعة ترسله مترنحا الى نهاية الحانة) اذهب عنى أيها الواعظ الصغير ، ذو الوجه الأصفر ، أيها التابع الحقير ، أيها المكتنز القصير ، أيها التافه أنت !

مسز جوجان : (تصرخ) فلوثر ، دعنى ، لن أظل ملتزمة الصمت بلا معارضة ، وهى تنثر كلماتها الخبيثة فى

وجهي ، متحدية كل آداب السلوك التي تميز
بها امرأة محترمة ، بسيل أكاذيبها التي لا تهدأ ؛
والتي تجعل القديس يقرب صلواته رأساً على
عقب .

بيسي : (ضائحة) آه ، ان كلا منا يعرف جيداً ان
أفضل احسان يمكن أن يسديه اليك هو التستر
على حقيقتك بقدر ما تسمح به عبادتنا لله
القدير !

مسنر جوجان : (بطريقة هستيرية) بربكم ، فليمسك أحكم
الطفل ، ليمسكه لحظة ! ان ما أسعى اليه الآن
هو أن ألقن هذه الفتاة درساً أو اثنين .. (لبيتر)
أستحلفك ، امسك أنت الطفل .. (وقبل أن يدرك
بيتر الأمر ، تضع الطفل بين ذراعيه) ..
(ليسى) وهي تواجهها متأهبة للشجار) . هيا ،
الآن يا فتاتي الوفية التي تموت حزناً من أجل
بلجيكا الكاثوليكية الصغيرة ! عندما تنتهي
چيني جوجان من أمرك ، لن يتبقى لديك وأنت
راقدة سوى وقت قصير للتفكير والصلاة من
أجل مليكك ووطنك !

البارمان : (يقبل من خلف الباب ، ويقف بين المرأتين ، ثم

يشرع في دفعهما نحو الباب) هيا الآن ،

ما دمتما لا تستطيعان النقاش في هدوء ، فلتسرعا

خارج هذا المكان وسويا خلافاكما في مكان

آخر — لا أريد تدوين مخالفة أخرى على

رخصتي .

بيتر : (بقلق ، موجه الحديث لمسز جوجان) هيا ،

استردى طفلك ، خذيه . ما أجمل الطريقة التي

أخترت بها دون غيري ، وأفاجأ به بين ذراعي !

الكوفي : ربما كانت تعرف لمن تناوله .

بيتر : (للكوفي في حدة) الآن ، انتي أحذرك تحذيرا

كافيا أيها الكوفي الشاب ، أن تكف عن إطلاق

غمزاتك وسخرياتك .. اذ انتي في يوم من الأيام

سأخالف أوامر الله العلي القدير وأقضى على

حياتك !

البارمان : (يدفع ييسى الى الخارج وراء مسز جوجان)

هيا الآن ، اخرجي .

ييسى : (وهي خارجة) اذا كنت تظنين يا فتاتي ، أن

ضمير يبنى ويرجس غير نظيف ؛ فسرعان ما يتبين
لك العكس !

بيتر : (تاركا الطفل على الأرض) ايه ، بحق يسوع ،
انتظري هناك حتى أرد لها صغيرها ! (يجرى
الى الباب) اسمعى ! اسمعى ! (يعود) .
ها هي قد انصرفت دون طفلها . ماذا ستفعل
به الآن ؟

الكوفي : ماذا ستفعل به ؟ احمله الى الخارج وأر كل
شخص ماذا وجدت !

بيتر : (لفلوثر في ذعر) احمله أنت يا فلوثر ، واجر
وراءها به ، هلا فعلت ؟

فلوثر : ماذا تظن بفلوثر ؟ يجب عليك أن تعرف أن
فلوثر رجل بحق . أعتقد أن فلوثر مثلك ،
مجرد من أى ذرة من الفهم ؟

البارمان : (ليتر بلهجة أمرة) احمله يا رجل ، وامض
وراءها به ، قبل أن تبتعد كثيرا . أنت لا تنوى
أن تترك ذلك الشيء اللعين هنا ، أليس كذلك ؟

بيتر : (شاكيا وهو يرفع الطفل) حسنا ، يا الهى القدير
آلهنى الصبر على جميع المستخفين والمعذنين ،

والمشاكسين الذين يحاولون دائما وأبدا تحريض
على الدعاء عليهم بالعمى والنسف والحرق في
العالم الآخر !

(يخرج) .

فلوثر : يا لله ، انها لراحة كبرى أن تتخلص من ذلك

الحشد . ما أفضح النساء عندما يبدأن في العراك .

ليست هناك وسيلة لمنعهن . (للكوفى) هل

تنوى أن تتناول شيئا ؟

الكوفى : آه لا بأس من تناول نصف آخر .

فلوثر : (للبارمان) اثنان آخران يا تومى ، يا بنى .

(البارمان يحضر الشراب) .

فلوثر : أنت تعرف ، أنه ليست هناك وسيلة لكبح جماح

المرأة عندما تهقد وتهدها .

(روزى تدخل وتمضى الى البار من الناحية

القريبة من فلوثر) .

روزى : (للبارمان) لا فائدة فى ساقين جميلتين فى ليلة

كهذه ، ان الأمور لم تكن أسوأ من هذا

أبدأ .. أعطنا نصفا حتى الغد يا تومى ،

يا حبيبى ..

البارمان : (يبرود) لا مزيد الليلة يا روزى ، أنت مدينة لى

بثلاثة حتى الآن .

روزي : (بلهجة شجار) سأدفع لك ، أليس كذلك ؟

البارمان : أرجو ذلك .

روزي : ترجو ذلك ! أهذه هي الطريقة التي ستتبعها ؟

فلوثر : (للبارمان) أعطها كأسا ، سيكون الأمر على ما يرام .

روزي : (تربت على ظهر فلوثر) يا عزيزي !

فلوثر : لا بد وأن الاجتماع قد انتهى الآن .

الكوفي : من الخير أن ينتهي سريعا ، انه لعبث في عبث ، أيها الرفيق .

فلوثر : أوه . لا أوافقك أن الأمر كله عبث ، على أية

حال ، يستطيع فلوثر أن يتذكر الوقت الذي

لم يكن فيه سوى طفل صغير ، وكانوا يعلمونه

وهو في حجر أمه أن يكون وفيا لحركة « إيرلندا

الأم » !

الكوفي : ذلك كله مخدر ، أيها الرفيق ، انها نوع من

الأشياء التي تعيش عليها الطبقة البورجوازية .

فلوثر : (في شيء من الحدة) ما الذي تعتبره مخدرا ؟

سأقول ما لا ينبغي أن يقال : (يمسك خذ

بيده ، ويجذب جفنه الأسفل) . أترى هذه

العلامة هنا ، تحت عيني ؟ .. ندبة من أثر سيفه
تلقيتها من فارس في شارع أوكنيل ! (يمد
رأسه فاحية روزى) تحسى هذه البطحة في
منتصف رأسى !

روزى : (تدعك رأس فلوثر ، وتغمز بعينها للكوفى) -
يا الهى ، يوجد هنا ثقب !

فلوثر : (يرتدى قبعته بكبرياء وهذوء) ضربة من عصا
شرطى في اجتماع عمالى في حديقة فينيكس !
الكوفى : لابد أنه ضربك خطأ . لا أعلم أنك فعلت شيئا ما
في سبيل الحركة العمالية .

فلوثر : (بصوت مرتفع) ألا تعرف ؟ لعلى اذن فعلت
من أجل الحركة العمالية ، وأعترف عنها قدر
ما فعله ويعرفه الاتهازيون الذين يثرثرون عنها !
البارمان : تكلم بهذوء يا فلوثر . حاول أن تتكلم بهذوء .

الكوفى : ليس هناك ما يدعوك لأن تنفعل يا رفيق .
فلوثر : (بصوت أكثر ارتفاعا) أقفعل ؟ من ذا الذى
ينفعل ؟ لا أحد قد انفعل ! ان الأمر يحتاج لشيء
أقوى منك لكى تهتز شعرة من فلوثر .

ان ما تقوله هراء ، رغم كل شيء ، إذ أن ما تعرفه

هو ما تعرفه البقية التي تتشدد بهذا الكلام !

الكوفي : حسنا . فلنختبر ذلك اذن ، لنرى ما تعرفه عن

الحركة العمالية : ما هي عملية التبادل ؟

فلوثر : (مزمجرا ، اذ يشعر بأنه قد هزم) كيف بحق

الجحيم أعرف ما هي ؟ ليس هناك شيء عن ذلك

في لوائح نقاباتنا !

الكوفي : بالله عليك حاول أن تتكلم بهدوء يا فلوثر . ماذا

يقول كارل ماركس عن علاقة القيمة بتكاليف

الانتاج ؟

فلوثر : (غاضبا) فيم بحق الجحيم يعني ما يقوله ؟

اتنى ايرلندي لدرجة لا تفقدني رشدي بالسير

وراء الأجانب !

البارمان : تكلم بهدوء يا فلوثر .

الكوفي : ان الحديث معك مجرد مضیعة للوقت يا رفيق .

فلوثر : لا تدعني رفيقا لك يا صاح . ان اليوم الذي

أختارك فيه رفيقا سيكون بلا شك آخر يوم

في حياتي .

دووزي : (للكوفي) انه لشيء مضحك للغاية أن نستمع

الى شيء لا يفرق كثيرا عما يقوله صبي ، وهو

يلوح بكلمات ثقيلة لا يعرف معناها ، ويحاول
بغرور أن يحط من قدر رجل كالسيد فلوثر
هذا ، الذى تذوق معرفة العالم الذى يعيش
فيه .

الكوفى

: (لروزى بشراسة) .. ان أحدا لم يسألك أن
تدخلى بشرتك .. أنا أفهمك جيدا يا فتاتى ..
فقط احتفظى بأرائك لمن هم على شاكلتك ..
سوف ينقضى زمن طويل قبل أن يتلقى الكوفى
أى تنقيف أو تعنيف من عاهرة !

روزى

: (مهتاجة من الازلال) أيتها الحشرة أيتها
الحشرة ، أنت ! .. أنت لست رجلا .. انك لست
رجلا .. أما أنا فامرأة على أية حال ، وحتى
لو كنت عاهرة فان لى مشاعرى .. كان منذ
لحظة يحاول أن يضع ذراعه حولى ، ويتودد
الى ، والآن فان هذا الشرير البائس ينقلب
على ، لأنه رأى انه لا يستطيع أن يفعل شيئا .
أيتها الحشرة ، أنت ! لو كنت رجلا ، أو كنت
أنت امرأة ، لمسخت لك وجهك .

البارمان

: كفى ، يا روزى ، كفى ! سوف ترغمين على

اغلاق فمك كلية ، اذا كنت لا تستطيعين الكلام

بهدهوء !

فلوثر

: (لروزی) .. مهلك يا روزی ، مهلا .. لا داعی

لأن تثيری نفسك عندما تكونين مع فلوثر ..

ان أية سيدة في صحبة فلوثر ستلقى المعاملة

اللائقة .. هذا خارج نطاق اختصاصك ..

لن أدعك تحطين من قدر نفسك بالحديث مع

اتهمازی مهذار .. دعي هذا لفلوثر — فتنك

مهمة رجل .. (المكوفی) الآن ، اذا كان لديك

أى شيء تقوله فلتقله لفلوثر ، ودعنى أقل لك

بأنك لن تهين أية سيدة في صحبتی ..

المكوفی

: بالتأكید أنا لا يهمنى ان كنت تجرى الليل كله

وراء فتاتك ذات الشعر المتموج ^(١) ، ولكن

عندما تبدأ تقص أكاذيبك الطنانة عما فعلته من

أجل الحركة العمالية ، حينئذ ينبغى على أن

أفضحك !

(١) هذه التورية التى تحمل التعريض بروزی ، تشير

في نفس الوقت الى احدى أغانى البلاد : مارى ذات الشعر

(المترجم) .

المتموج .

فلوثر : (بشراسة) .. أأنت الذى ستفصح فلوثر ؟

اذهب يا رجل ، بوسعى أن أضرب اثنين مثلك
قبل افطاري !

الكوفى : (بازدرله) أخبرنا أين تدفن موتاك ،

هلا فعلت ؟

فلوثر : (وقد ألصق وجهه بوجه الكوفى) .. قلل من

غلوائك ، والا فعندما انتهى منك سوف تنظر
للأمور نظرة مسيحية متواضعة ، انى أحذرك !

الكوفى : يا لك من رجل ضخم ..

فلوثر : (يخط على كتف الكوفى مهددا) .. الآن ،

انك تستفز العناية الالهية باستفزاز فلوثر !

الكوفى : (يفقد السيطرة على أعصابه ، ويصيح) أبعد

يديك عني . أبعد يديك ! انك تهتم بالمخاطرة

عندما تبدأ فى أن تخمش الكوفى ! (فجأة يشب

فلوثر فى وسط المحلل ، ويقذف بقبعته الى

الركن ، وينزع معطفه ويبدأ فى خمش الهواء) .

فلوثر : (مزمجرا بأعلى صوته) .. هيا ، هيا ، أيها

القدر ، ألق بقفازك الآن ، ان كانت فيك دماء

رجل ! والله ، انك سترى خلال بضع لحظات

اربا قدرة تتطير حولك ، انى أحذرک .. عندما
ينتهى فلوتر من أمرک ستغير رأيک فيه ! هيا ،
الآن ، هيا !

البارمان : (يجرى من وراء البار ويمسك بالكوفى) هيا
الى الخارج يا صغيرى . ألاأنك أخذت كأسين
تظن أن بإمكانك أن تتصرف كما تحب . (يدفع
الكوفى نحو الباب) .. ان فلوتر صديقى
ولن أسمح لأحد باهانتة .

الكوفى : (يقاوم البارمان) اى ، دعنى ، دعنى آخذ
حقى ، دعنى آخذ حقى ! كل ما أطلبه هو
دقيقة واحدة معه ، دقيقة واحدة أنفرد فيها به
بينما تجرى أنت لاستدعاء القس والطبيب .

فلوتر : (للبارمان) دعه ، دعه ، يا قوم ! دعه يفتح
الباب للموت المفاجيء أن كان يريد !

البارمان : (للكوفى) .. هيا الى الخارج وتشاجر فى مكان
آخر .

(يدفع بالكوفى الى الخارج ويعود) .

روزى : (تحضر قبعة فلوتر بينما يرتدى معطفه) بالله ،
لقد أوقعت مخافة الله فى قلبه هذه المرة !

تصورت انك ستلتحم به حتى تضطر لاتتراعك
منه .. الطريقة التي قفزت بها دون خشية !
أقول لنفسى ان أمثال فلوثر من الرجال أصبحوا
نادرين هذه الأيام .

فلوثر : (يرضى مزهو) .. لم أكن أقوى أن أدع نفسى
لعدوان اتهازى .. لقد ازدادت وقاحته على
فلوثر .. بالله ، أنا لا أتصور كيف يأتى كلب
مثل هذا ليتحدث الى رجل مثلى !

روزى : (تثبت له قبعته) .. هل رأيت شيئا كهذا أبدا !

فلوثر : من حسن حظّه أنه خرج سالما ، لقد ضربت رجلا
فى الأسبوع الماضى يا روزى ، ولم يزل راقدا
حتى الآن !

روزى : بالتأكيد ، كنت ستشيطره شطرين لو أنك ضربته
ضربة واحدة !

فلوثر : (يحيط روزى بذراعه ، مغازلا) تعالى الى
الاستراحة يا حبيبتى الصغيرة ، وسنحسى بضعة
كؤوس قبل أن أوصلك الى بيتك .

روزى : أوه يا فلوثر ، أخشى أن تكون رجلا رهيبا
بالنسبة للنساء .

(يذهبان الى الاستراحة ، بينما يدخل
كليثيرو ، والكابتن برينان ، والملازم
لانجون من جيش المتطوعين الايرلنديين
في عجلة . الكابتن برينان يحمل علم
المحراث والنجوم ، ويحمل الملازم لانجون
علما مثلث الألوان من الأخضر والأبيض
والبرتقالي . تملكهم حالة من الانفعال
العاطفي . وجوههم محتقنة وعيونهم
تلتمع ، يتحدثون في سرعة ، وكأنهم لا يدرون
معنى ما يقولون . لقد استولى على
مشاعرهم حماس الخطب) .

كليثيرو : (منبهر الأتقاس) .. ثلاث كؤوس من النبيذ !
(البارمان يحضر الشراب) .

الكابتن برينان: لن يكون علينا أن نتظر كثيرا الآن .

الملازم لانجون: لقد حان الوقت لقيام الثورة .

كليثيرو : ان لك أما يا لانجون .

الملازم لانجون: ان ايرلندا أعظم من الأم .

الكابتن برينان: ان لك زوجة يا كليثيرو .

كليثيرو : ان ايرلندا أعظم من الزوجة .

الملازم لانجون: ان موعد المعركة الآن ، ومكان معركة ايرلندا
هنا .

(يظهر الخيال الطويل الداكن على النافذة
ثانية . بصمت الرجال الثلاثة ويصفون) .

صوت الرجل: ان أعداءنا أقرباء ، لكنهم مع قوتهم لا يقدرّون
على ابطال معجزات الله ، الذى ينضج فى قلوب
الشباب البذور التى بذرها شباب جيل ماض .
انهم يظنون أنهم قد هادنوا ايرلندا ، يظنون
أنهم قد تنبأوا بكل شىء ؛ يظنون أنهم قد
تجهزوا لكل شىء ، ولكن يا للأغبياء ، الأغبياء !
الأغبياء ! لقد تركوا لنا موتانا من «الفينيين»^(١) ،
وطالما تضم ايرلندا هذه القبور ، فان ايرلندا
المستعبدة لن يكون فيها سلام أبدا ! .

الكاتبين برينان: (يرفع علم المحراث والنجوم) السجن فى سبيل
استقلال ايرلندا !

الملازم لانجون: (يرفع العلم المثلث الألوان) الجراح فى سبيل
استقلال ايرلندا !

كليشيو : الموت فى سبيل استقلال ايرلندا !

(١) اسم عصبة كلتية قديمة من المحاربين ، ولكن المقصود
هنا هو الحركة التى قامت لتحرير ايرلندا بقوة السلاح حوالى
سنة ١٨٦٠ متخذة التسمية القديمة ، وقد قامت هذه الحركة
بثورة فى سنة ١٨٦٧ م ولكنها فشلت . (المترجم) .

: (معا) بعون الله !

(يشربون . يصدر صوت يوق معلنا
 قض الاجتماع . يسرعون الى الخارج .
 صمت) .

يخرج فلوتر وروزي من الاستراحة ،
 روزي متعلقة بذراع فلوتر الذي يبدو ثملا
 قليلا . الاثنان في حالة مرح .

روزي : هيا الى البيت يا رجل .. أأنت خائف أم ماذا ؟
 هل ستأتني الى البيت أم لن تأتي ؟

فلوتر : طبعاً سأذهب الى البيت . وهل هناك شيء
 يؤلمني حتى لا أذهب ؟

روزي : (بتودد) هيا ، اذن ، يا عزيزي .

صوت ضابط : (يصدر أوامره في الخارج) المتطوعون
 الايرلنديون ، الى اليمين خطوة سريعة .

روزي : (تضع ذراعها حول فلوتر وتغنى) :

كان لي يوما حبيب ، حائك ، لكنه لم يستطع
 أن يفعل شيئاً من أجلى .

ثم وقعت في حب بحار قوى وعنيف كالبحر .

كنا تتعاقق ، وتقبل بعضنا ، بتعبد حتى يفسر
الليل من الصباح ؛
وهناك لفرط بهجتنا ، كان طفل مشرق ملء
بالحيوية .

يرقص رقصة مرحة في الفراش !
يرقص في الفراش ،

ويصيح من أجل الزبد والخبز .
وهناك لفرط بهجتنا كان طفل مشرق ملء
بالحيوية

يرقص رقصة مرحة في الفراش !
(يخرجان وذراع كل منهما حول الآخر) ..
صوت كليثيرو (آمرا في الخارج) .
كتيبة دبلن بجيش المواطن الايرلندي
يمينا — خطوة سريعة !

ستار

الفصل الثالث

المنزل الذى على الناصية فى أحد شوارع المساكن الشعبية .
هو مسكن أسرة كليثيرو .

وهو مسكن شعبى طويل يتكون من خمسة طوابق ، باهت اللون . تشققت واجهته القرمزية وأثر فيها مرور الزمن والاهمال .

باب المدخل الثقيل العريض الذى تسنده دعامتان ، يبدو مودا وكأن ذلك من لفح نار اشتعلت فيه منذ زمن بعيد .

والباب مائل قليلا على أحد جانبيه ، وقد تخلع من الوصد الشديد الذى يقوم به معظم السكان عند اغلاقه . أما شراعة الباب الزجاجية فليس بها لوح واحد ، ولم يبق سوى إطارها ، والنوافذ فيما عدا النافذتين اللتين تطلان على حجرة الاستقبال الامامية (حجرة كليثيرو) .. متسخة ومغطاة بقطع من ستائر الدانتلا متطايرة وقذرة .

نوافذ حجرة الاستقبال الامامية مثبت فيها ستائر فاخرة نسبيا .. هنالك خمس درجات حجرية تؤدي من الباب الى الممر على الشارع . وعلى الجانبين يتفرع سياج ليمنع الناس من السقوط ، وفى زاوية المنزل ناحية الشمال تمتد حارة ضيقة تقطع الشارع الى قسمين وتصله بحارة أخرى من نفس النوع . على ناصية الحارة مصباح من مصابيح الشوارع .

حين ينفرج الستار عن المنزل ترى مسز جوجان وهي
تساعد مولسر في الجلوس على كرسي في الممر بجانب السياج
ناحية الشمال للدرج . ثم تلف شالا حول كتفى مولسر .
بضعة شهور قد انقضت على الفصل السابق .

مسز جوجان: (تنسق الشال حول مولسر) ستعطيك الشمس
كل ما في الدنيا من صحة . بضعة أسابيع أخرى
في هذا الطقس ، ولا تعرفين الى أى حد ستقدم
صحتك .. هل أنت مستريحة الآن ؟

مولسر : (في ضعف وارهاق) نعم يا ماما ، أنا بخير .

مسز جوجان: كيف تشعرين ؟

مولسر : أحسن يا ماما ، أحسن . لو أن هذا الاعياء
اللعين يذهب ، سأكون بخير .

مسز جوجان: آه ، لو كنت منك لما علقت أهمية كبيرة على
ذلك . قد تكون معدتك غير منتظمة .. هل
تحسن تنفسك ، أتعتقدين ذلك ؟

مولسر : نعم ، نعم يا ماما ، أحسن كثيرا .

مسز جوجان: حسنا ، انه تحسن على أى حال .. بعون الله ،
ستعافين من هذا . هل تظنين أن رجلك أقوى
من ذي قبل !

مولس : (مغتظة) .. لا أدري يا ماما .. أظن كذلك ..
قليلا .

مسز جوجان: لا بأس ، ان القليل في حد ذاته شيء ما .. حسب
انى سمعتك تسعين قليلا أكثر من العادة في
الليلة الماضية .. أتعتقدين ذلك ؟

مولس : لم أكن أسعل يا ماما ، لم أكن .
مسز جوجان: ظننت أنى سمعتك ، لأنى كنت مستيقظة طول
الليل مع طلقات الرصاص . والتفكير في ذلك
الرجل المجنون فلوثر ، وهو يجرى هنا وهناك
طول الليل باحثا عن نورا كليثيرو ليعود بها الى
البيت عندما سمع بأنها قد خرجت لتتبع زوجها .
وقد تملكه الرعب من أنه في أى لحظة زبما يجىء
مترنحا ملفوفا فى الضمادات ، ملطخا من كل
ناحية بجمرة دمه . ولا يكاد يترك لنا وقتا لكى
نحضر قسا لسمع آخر همسة من اعترافه
الأخير ، بينما تكون روحه تمر خلال بوابة
الموت المظلمة الى طريق الموتى العجيب .. افك
لا تشعرين ببرد ، أليس كذلك ؟

مولس : لا يا ماما ، أنا على ما يرام .

مسز جوجان: غطى صدرك جيدا ، لأنه هو الموضع الضعيف
فى جسمك .. اذا كان هناك أى خطر ، فسأسرع
بك الى الداخل ثانية .. (تنظر الى الشارع) .
أوه ، ها هو الكوئى ، والعجوز بيتر يسرعان
الخطى . يا الهى القوى ، لابد أن شيئا غريبا
يجرى ما دام قد اجتمع الاثنان .

(يدخل الكوئى وبيتر متقطعى الانفاس ،
ومنفعلين) .

مسز جوجان: (للرجلين) هل كنتما فى المدينة ؟ هل رأيتما أى
أثر لفلوثر أو نورا ؟ كيف تبدو الأحوال ؟ ..
لقد سمعت أنهم يطلقون النيران من مبنى
البوستة ، وان جث الجنود الانجليز تمتد
أكواما حول عمود نيلسون ، وتمثال پارنل ،
وان حجارة الرصف فى شارع أوكنيل تكاد
تغمرها برك من الدماء .

بيتر : لم نر أثرا لنورا أو فلوثر فى أى مكان .

مسز جوجان: كان ينبغى أن نمنعها بالقوة من الذهاب للبحث
عن زوجها .. الله يعلم ما الذى حدث لها — اننى
دائما أتخيلها ممددة على ظهرها فى احدى

المستشفيات تتوجع من آلام رصاصة أصابتها
في مكان حساس ، والراهابات يحاولن حملها
على القاء نظرة أخيرة على الصليب !

الكوفي : لا نستطيع أن نفعل شيئا . انك لا تستطيعين أن
تحمي نفسك في شارع أو كحل لأن محل تايلر
تشتعل فيه النيران .

بيتر : وقد رأينا الفرسان .

الكوفي : (مقاطعا) يركضون منتصبى الرؤوس ،
والمهاميز والسيوف تققع ، والمزاريق تهتز ،
وتبدو كما لو كانت تسأل أنفسها ؛ « أين هؤلاء
الملاعين حتى نخسهم ؟ » عندما انطلقت قذيفة
من مكتب البريد فطرحنا نصفهم أرضا ،
ودفعت الباقيين الى الركض بعيدا متسائلين الى
أى مدى يجب أن يذهبوا قبل أن يشعروا
بالأمان .

بيتر : (يفرك يديه) « اللعنة » هكذا قلت لنفسي ،
يبدو أنه قد جد الجد !

الكوفي : واذا بالجنرال بيرز يخرج ومعه أركان حربه
ويقف في وسط الشارع يقرأ الاعلان .

مسز جوجان: أى اعلان ؟

بيتر : معلنا قيام جمهورية ايرلندية .

مسز جوجان: غير معقول !

بيتر : المدمرة هلجا تطلق مدافعها على « قاعة الحرية »

وسمعت أن الناس الذين يقطنون على الميناء

قد اضطروا للزحف على بطونهم لحضور الصلاة ؛

والرصاص يتطاير حولهم من مطاحن بولاند .

مسز جوجان: ليباركنا الله ، ترى ماذا ستكون نهاية كل

ذلك !

بيسى : (تطل من النافذة العليا) لعلكم راضون الآن ،

لعلكم راضون الآن . اذهبوا وأحضروا بنادق

إذا كنتم رجالا — چوئى أحضر بندقيتك ،

أحضر بندقيتك ، أحضر بندقيتك ! انظروا الى

المأزق الذى أتم فيه الآن ، ليس لدى الصبية

سيوف الآن ! أوه ، انظروا الى المأزق الذى أتم

فيه الآن !

مسز جوجان: (محذرة بيتر والكوفى) اسش ، لا تردا عليها .

انها كلبة اتصالية (١) ! لقد كانت تنشد :

(١) "Orangl bitch" اشارة الى الايرلنديين البروتستانت

المتطرفين دعاة التبعية الانجليزية وضد اتحاد شمال ايرلندا
بجنوبها .

« احكمى يا بريطانيا » . طول الصباح .

بيتر : أرجو ألا يكون قد حدث حادث لفلوثر ، انه
عديم الاكتراث .

مسز جوجان: فليستجب الله لرجائك . الليلة الماضية فقط
حلمت أننى رأيت نقالة محمولة الى المنزل وقد
رقد فيها شخص متصلب وساكن ، ويرتدى
ملابس القديس فرانسيس . وبعد ذلك سمعت
غمغمة جمع من الناس الذين لا يمكن أن
يتصورهم الانسان وهم يتلون صلاة الميت ،
وبعد ذلك أظلمت الدنيا بحيث لم يكن ليرى
شئ سوى وجه الجثة الأبيض يسطع كزئبق
الماء الأبيض طافيا على سطح بحيرة معتمة .
وبعد ذلك سال فى سمعى همس خافت يقول :
« أوليس هذا الوجه شديد الشبه بوجه
فلوثر ؟ » وبعد ذلك انفتحت شفتا الميت فى
حركة مرتجفة ، مع أننى لم أكن أسمع فقد
عرفت أنهما كاتتا تقولان : « يا لفلوثر المسكين ،
بعد أن سلم سلاحه أخيرا ، فان روحه المرتجفة

قد رست في المكان الذي يقرّ فيه الأشقياء ،
ويكف المتعبون عن الانزعاج » .

بيترو : (الذي كان قد ارتدى « نظارة » وأخذ يتطلع
الى الشارع) هاهما : والله هاهما على وشك
أن يحودا عند الناصية ، نورا ، وفلوثر !

الكوفي : لا بد أنها قد جرحت أو حدث لها شيء من هذا
القبيل ، لأنه يبدو وكأنه يحملها .

(يدخل فلوثر ، ونورا . يضع ذراعه
حولها ، ويتقدمها قليلا ، ويكاد يحملها .
عينها مظلمتان وخاويتان ، ووجهها
شاحب ومكدود . وشعرها متدل ،
وثيابها مغبرة) .

مسز جوجان : (تجرى نحوهما) ليباركنا الله ، هل أنت جريحة
يا مسز كليثيرو أو ماذا ؟

فلوثر : آه ، انها بخير يا مسز جوجان ، انها فقط منهكة
من المشى ، وبحاجة الى النوم . اذا استراحت
الليلة ، فستصبح سليمة معافاة . أدخلها
واجعلها تنام .

(مسز جوجان لنورا) هل سمعت خبرا عن
مستر كليثيرو ؟

: (بتعب) لم أستطع أن أجسده في أى مكان
يا مسز جوجان . ان أحدا منهم لم يشأ أن
يخبرنى أين هو . لقد قالوا لى بأئنى قد ألحقت
العار بزوجى وبنساء ايرلندا باستمرارى فى
البحث عنه .. قالوا ان النساء يجب أن يتعلمن
الشجاعة ، والكف عن الجبن .. أنا التى خاطرت
فى سبيل الحب أكثر مما يخاطرون من أجل
الكراهية .. (ترفع صـوتها فى احتجاج
متشنج) . ان حببى جاك سوف يقتل ، حببى
جاك سوف يقتل .. ! لسوف يذبح كتضحية
من أجل الموتى ! (ييسى من النافذة العليا) .
انظروا الى المأزق الذى أنتم فيه الآن ! فليحل
الحزن بالفتيات اللاتى كن يقبلن ويعانقن
أصدقاءهن بينما تسفك الدماء ! .. مائتات
عقولهم بالحكايات الخرافية التى لم تكن لها
بداية ولكن — ان شاء الله — ستكون لها
نهاية سريعة جدا ! .. يحولن المرالى حلو والحلو
الى مرءى ويطعن من الخلف الرجال الذين يموتون
فى الخنادق من أجلهن ! انه لشئ ردىء أن

يحاول أى شخص العبث بالوصايا العشر ، لأن
الأحكام تنتظر المستهزئين ، والجلد ينتظر
ظهور الحمقى !

(تبتعد عن النافذة وهى تفنى :)

احكمى يا بريطانيا ، بريطانيا تحكم الأمواج ،
البريطانيون لن ، لن ، لن يصبحوا عبيدا !

فلوثر : (زاعقا تجاه النافذة) أيتها الحقيرة الجاهلة ،
أنت !

مسز جوجان : (الى نورا) سوف يعود اليك سليما تماما ،
كما سترين يا مسز كليثيرو ، ففضلا عن ذلك
فهناك كثير من النساء سلمن أبناءهن وأزواجهن
لخوض مخاطرة سريعة فى القتال الذى يشنونه .

نورا : لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فى أن كل
رصاصه تنطلق سوف تنطلق نحو چاك ، وكل
رصاصه تنطلق نحو چاك فانها ستنتطلق نحوى .
ماذا يعيننى من أمر الآخرين ؟ أنا لا أفكر
الا فى نفسى فقط .. وليست هناك امرأة تقدم
ابنا أو زوجا ليقتل — اذا قلن ذلك فانهن

يكذبن ، يكذب على الله ، وعلى الطبيعة ، وعلى
أنفسهن ! .. قالت لى امرأة سليطة عند المتاريس
أن أعود الى البيت وألا أحاول أن أثبط عزم
الرجال .. وائنى لا أستحق أن أحمل ابنا لرجل
يقاتل هناك من أجل الحرية .. خمشتها وأخذت
أضربها فى وجهها حتى فرقوا بيننا .. ودفعونى
الى الشارع ، فلغنتهم — لغنت المتطوعين
والأوشاب المتمردين ، ودفعونى الى أن أهذى
كالمجنونة فى الشوارع بحثا عن زوجى !

بيتر : عليك أن تتذرعى بالصبر يا نورا . علينا جميعا
أن نتحمل المعاكسين والمعذبين فى هذه الدنيا .
الكوفى : لو أنهم كانوا يقاتلون فى سبيل أى شىء
يستحق ، فائنى لا أرى بأسا .

فلوثر : (الى نورا) لن يحدث شىء فظيع لمستر
كليثيرو . سوف تجددين فى النهاية أن العكس
صحيح .

نورا : أوه ، أنا أعرف أنه أينما يكون ، فإن الرغبة
تراوده فى أن يكون معى . أنا أعرف أنه يتوق
الى أن يمرر يده خلال شعرى ؛ وأن يداعب

عنتى ؛ وأن يَملَسَ يدي ، وأن يحس بقبلاتي
ملتصقة بضمه .. هل هو يقف حيث يكون لأنه
شجاع ؟ (فى حدة) ، لا ، بل لأنه جبان ،
جبان ، جبان !

مسز جوجان: أوه ؛ انهم ليسوا جناء على أى حال .
نورا: (بغضب متوعد) أقول لك ، انهم يخافون
القول بأنهم خائفون ! .. أوه ؛ لقد رأيته ، لقد
رأيته ، يا مسز جوجان .. عند المتاريس فى
شارع نورث كنج رأيت الخوف يتمتع فى
عيونهم جميعا .. وفى وسط الشارع كان هنالك
شئ متراكم فى كومة مختلطة فظيعة .. كان
وجهه منضغطا فى الحجارة ؛ وذراعه ملوية حول
ظهره .. وكانت كل التواءة فى جسده صرخة
ازاء الشئ المريع الذى حدث له .. ورأيت أنهم
خائفون من النظر اليه .. وقد ضحك لى بعضهم
ولكن الضحكة كانت ضحكة مذعورة .. وصاح
بعضهم نحوى ، ولكن الصيحة كانت تحمل
ارتعاشة الخوف .. أقول لك انهم كانوا خائفين ؛
خائفين ، خائفين !

مسز جوجان: (تقودها نحو المنزل) ادخلي يا عزيزتى ،
لو أنكما قضيتما معا مدة أطول قليلا ، لما كان
افتراقكما بهذه الحدة .

نورا : العذاب الذى أعيش فيه منذ أن تركنى قد طرد
كل اساءة فعلها ، وكل كلمة قاسية قالها ،
ولا أرى الآن الا الأزهار التى نمت من حياتنا ،
ترف ألوانها أمامى ، وتنفث عيرها الحلو فى
كل فكرة تشب الى ذهنى ، حتى أتى أحيانا
يا مسز جوجان ، أحيانا أعتقد بأننى ساجن !
مسز جوجان: سوف تتحسّنين كثيرا عندما تنامين قليلا .

نورا : تلتفت ناحية فلوتر أثناء دخولها . لست أدرى
ماذا كنت أفعل لولا فلوتر ، لولاه لكنت طريحة
فى الشوارع ..

(وهى تدخل) لقد انتزعوا منى قسط السعادة
الذى وهبته لى الحياة . لقد ذهب عنى الى
الأبد ، الى الأبد .. أوه ، چاك ، چاك ، چاك !

(تقودها مسز جوجان الى الداخل ، أثناء
خروج ييسى التى تضع شالا حول كتفها ،
تمر بهما مرفوعة الرأس . عندما يصبحان

في الداخل ، تعطى مولسر كوزا من اللبن
في صمت) .

فلوثر : من منكما معه قطعتان من البرنز للقرعة (١) ؟

الكوفي : أنا معي .

بيسي : (وهي تمر بهم متجهة في الطريق الى الشارع)

انكم وقادتكم وجنود معركتهم الشائنة قد
وضعتم الناس في مأزق . واضطرتتمونهم
للخروج لتصيد كسرة من الخبز ، يعلم الله أين
تكون .. لماذا لم تكونوا في البوستان العمومية
اذا كنتم رجالا ؟ (٢) .

انكم تزدادون شحوبا .. زمرة من الأفاعي ،
هذا هو الشعب الايرلندي !

(تخرج)

فلوثر : لا تلقوا بالا اليها .. (للكوفي) تحرك ، وأبعدنا

عن خطيئة البطالة . (الى مولسر) حسنا كيف
حالك الآن يا مولسر يا بنيتي ؟ ماذا تشربين ،
لبن ؟

(١) لاستخدامها في لعبة النقشة .

(٢) كان مبنى البوستان العمومية هو مركز الثورة في ذلك

مدهشة ، يا فلوتر ، مدهشة ، شكرا . نعم ،

أشرب لبن .

فلوتر : ليس بإمكانك تناول شيء أفضل من هذا ..

هذا التغيير قد أحدث نتيجة طيبة على أية حال ،

لا يمكنك الحصول على شراب في أي مكان ،

وإذا ما استمر ذلك أسبوعا ، فسأعتاد على ذلك

حتى أنني لن أفكر في الشراب .

الكوفي : (الذي يخرج من جيبه قطعتين باليتين من

البرنز ، وشقة رفيعة من الخشب يبلغ طولها

حوالي أربع بوصات) ما هو الرهان .

بيتر : بنسان إذا ظهرت الرأس .

فلوتر : ستة بنسات إذا ظهرت القيثارة .

(الكوفي يضع قطعتي البرنز على شقة

الخشب ، ويقذفهما في الهواء . وأثناء

رنينهما على الأرض ، يسمع دوى بعيد

مدفع . يقفون لحظة مصغيين) .

فلوتر : ما هذا بحق الجحيم .

الكوفي : كأنه دوى مدفع كبير !

فلوتر : أيعقل أنهم سيستخدمون المدفعية ضدنا ؟

الكوفي : (بازدرء) لن يستخدموا ! (بحدة) ألن

يستخدموا أى شىء ضدنا يا رجل ؟

فلوثر : أوه ، يا يسوع المقدس ، ليس هذا من الشرف

والأمانة فى شىء .

بيتر : (فى حزن) ماذا يحدث اذا ما سقطت قذيفة

هنا الآن ؟

الكوفي : (بسخرية) سوف تصعد الى السماء فى عجلة

فارية .

بيتر : رغم كل التحذيرات التى تجلجل من حولنا ،

هل ستبدأ فى مشاكساتك لى مرة أخرى ؟

فلوثر : استمر ؛ اقدفهما مرة أخرى ، اقدفهما مرة

أخرى .. ستة بنسات اذا ظهرت القيثاره .

بيتر : بنسان اذا ظهر الرأس .

(يقذف الكوفي بقطعتى البرنز) .

فلوثر : (أثناء سقوط النقود) دعها تتلحرج ؛ دعها

تلحرج . الرأس ، والله !

(يسيى تعود الى الداخل منفعله . تضع

قبة جديدة على رأسها ، وفراء ثعلب

حول رقبتها على الشال ، وثلاث مظلات

تحت ذراعها اليمنى ، وصندوقا من

البسكويت تحت ذراعها اليسرى . تتكلم
بسرعة متقطعة (الأنفاس) .

بيسى

: انهم يقتحمون الحوانيت ، انهم يقتحمون
الحوانيت ! يحطمون النوافذ ؛ يدكون الأبواب ؛
وينهبون كل شئ ! والمتطوعون يطلقون النيران
عليهم . رأيت رجلين وفتاة يدفعون « بيانو »
الى الشارع ، والعرق يسيل منهم ؛ وهم
يحاولون أن يرفعوه فوق الرصيف ؛ وامرأة
عجوز لا بد وأنها فى السبعين تبدو وكأنها سوف
تسقط بين دقيقة وأخرى من أثر دقائق قلبها
المتلاحقة ، وهى تحاول أن تجذب سريرا كبيرا
من نافذة العرض فى أحد الحوانيت المحطمة !
لقد كنت أنوى أن أتنظر حتى اكتمى تماما .

مولسر

: (الى بيسى أثناء دخولها) ساعدينى على
الدخول يا بيسى ، فأننى أشعر بالوحدة .

(تترك بيسى الأسلاب فى المنزل ، وتعود
بسرعة لمساعدة مولسر على الدخول) .

الكوفى

: يا لأنانية هذه المرأة — لقد انتظرت حتى حصلت
على كل ما يمكنها حمله قبل أن تأتى لتخبر
أى أحد !

فلوثر : (يجرى الى باب المنزل ويصيح على ييسى فى
الداخل) اى ، ييسى ، هل سمعت عن اى يار
تحطم ؟

ييسى : (فى الداخل) لم أسمع عن اى منها .

فلوثر : (فى ثورة حماس) حسنا ، سوف تسمعين عن
واحد قريبا !

الكوفى : هيا يا رجل ، ولا تضيع الوقت .

بيتر : (اليهما ، وهما يهمان بالانطلاق) .. ايه ، ايه ،
هل تنويان تركى هنا ؟

فلوثر : هل تنوى أن تترك نفسك هنا ؟

بيتر : (بقلق) ألم تسمعا قولها بأنهم كانوا يطلقون
النار عليهم ؟

الكوفى وفلوثر : (معا) حسنا ؟

بيتر : ماذا لو حدث وقتلت ؟

فلوثر : سنقوم بدفئك وفقا للطقوس المسيحية ، على اى
حال .

الكوفى : (فى سخرية) مرتديا زيك العسكرى .

بيتر : (للكوفى منفعلا) أسأل الله الرحمن أن يصيبك

بضربة حامية في يوم من هذه الأيام .. يا صديقي
الكوفي ، بما أنك تدفع فلوثر الآن الى منازلتي ،
والى أن يعترضنى بسخرياته وتهكمه !

(تدخل في عجلة امرأة ضخمة في منتصف
عمرها ترتدى ثيابا عصرية ، وتتجه نحو
الجماعة . يكاد يغمى عليها من الخوف) .

المرأة : ناشدتكم الله ، هل لأحد منكم أيها الرجال

الطيبون أن يربنى طريقا آمنا يوصلنى الى
رائمانز ؟ .. لقد كنت من الحمق بحيث أقوم
بزيارة صديقة معتقدة أن الأمر كله دعاية ،
والآن فاتنى لا أستطيع أن أجده عربة أو تراما .
ليذهب بى الى البيت — أليس ذلك فظيعا ؟ ..

فلوثر : يا مدام أخشى أن تكون الطرق جميعا سواء .

المرأة : وماذا عساي أن أفعل . أليس ذلك فظيعا ؟ ..

اتنى أختلف كثيرا عن الآخرين .. فى اللحظة التى
أسمع فيها طلقة فان رجلى تعجزان عن حملى ..
لا أستطيع الحركة ، أصبح مشلولة .. أليس
ذلك فظيعا ؟

فلوثر

المرأة

: (يتحرك مبتعدا) انه أمر فظيع حقا .. يا مدام .

: (تمسك بمعطف فلوثر) وأنا أزحف على طول

الشارع هناك ، ورأسي منخفضة ، وعيناي

نصف مغلقتين ، عبرت رصاصة تتر على بعد

بوصة من أنفي .. فاضطرت أن أستند على

الحائط فترة طويلة ، مقطعة الأنفاس .. كدت

أن أموت .. كان ذلك فظيعا ! .. انتى أتساءل ،

أيها الرجال الطييون هل لكم أن تصحبوني

جزءا من الطريق ، لتضمنوا لى أن أصل

سالمة ؟

فلوثر

: أنا مضطر الى الذهاب يا سيدتى ، لأحاول أن

أنتقد بعض الأشياء من الأبنية المحترقة .

الكوفى

: هيا بنا اذن ، والا فلن يتبقى شىء لكى تنقذه .

(الكوفى وفلوثر يسرعان الى الخارج) .

المرأة

: (لبيتر) ألم يكن شيئا فظيعا بالنسبة لى أن

أترك منزل صديقتى ؟ ألم يكن من الحق أن

أفعل ذلك ؟ .. لم تكن لدى أدنى فكرة أين

أنا .. تبدو فى ملامحك الطيبة يا سيدى . هل

بإمكانك أن تأتى وتقودنى فى اتجاه راثماينز ؟

بيتر : (فى سخط) هل تظنين أننى سأخاطر بحياتى
راكضا أمامك ؟ وربما أتلقى رصاصة تصيبنى
بالعرج أو شيء ما يتركنى هزأة وأضحوكة
لفلوش وذاك الشاب الكوفى بقية حياتى ؟
(يدخل المنزل وهو يهز رأسه فى سخط) .

المرأة : (خارجة) أنا أعرف أنتى سوف أقع فى اغماء
مميتة لو سمعت طلبة أخرى تنطلق فى أى اتجاه
قريبا منى .. أليس ذلك فظيعا !

(تخرج مسز جوجان من المنزل ، وهى
تدفع أمامها عربة أطفال) .. عندما
تبلغ الشارع ، تندفع بيسى خارجة ،
وتمسك بالعربة مانعة مسز جوجان من
السير) .

بيسى : انتظرى ؛ أين تذهبين بهذا ؟ ما أشد سرعة
اتباهك للعربة يا سيدتى .. ربما لا تعرفين أن
مسز سوليثان ؛ قبل أن تذهب لقضاء عيد
الفصح مع ذويها فى « دنبورين » ؛ قد أعطتنى
أوامر صارمة أن أنظر بين لحظة وأخرى لأرى
إذا كانت ما تزال فى مكانها الذى تركتها فيه
فى ركن المشى .

مسز جوجان: ملاحظتك هذه يا مسز بيسي يرجس تحتاج الى قليل من الالتفات لترين أن العربة كانت متروكة في مشانا ، وليست في ممشاك ، على مسافة قدم أو أقل من قدمين ناحية الشمال من كنف باب حجرتي الخاصة . كما أنه ليست هناك حاجة لذكر اسم الشخص الذي كان أول شيء فعله في الصباح أن اختلس نظرة ليري ما اذا كانت في مكانها . وكان ذلك أيضا آخر شيء فعله في سكون الليل ، متأكدة ان نظرتها لا يمكن أن تخطيء ، بأن تمتد ذراعها وتتحسس العربة ، لتتأكد من أن بصرها لم يخدعها ! وفوق ذلك فان شيئا ما ينبئن بأن التعجل الشديد في اهتمامك بها الآن هو طمع مفاجيء في استخدام العربة في غرض تنأى عنه امرأة مطيعة للقانون والنظام !

(تدفع العربة بصورة مفاجئة تجذب بيسي الى الامام) .

بيسي : (لا تزال تمسك بالعربة) لا يوجد أى شخص في المنزل لا يعرف أن بيسي يرجس لم تكن هي

التي ترفع صوتها دائما ، متدمرة من الناس
الذين يتركون عربات الأطفال في طريق أولئك
الذين يدفعون الايجار ولو أنهم يقضون أسبوعا
في المنزل وأسبوعا في الخارج ، وانها دائما كانت
تواظب على حفظ أثائها في حجرتها الخاصة ..
وفيما يتعلق بالقانون والنظام ، دعى جانبا
« القيثارة » و « الشمرك » (١) ، فان ييسى
يرجس سوف تكن احتراما بالقدر الذي تريد
للأسد ووحيد القرن ! (٢) .

بيتر : (يظهر عند الباب) أظن أنى سأذهب معكما
للفرجة ، فان بإمكان المرء أن ينتهز الفرصة على
أى حال ..

مسز جوجان : (لا تلقى بالا لبيتر ، وتدفع العربة خطوة أخرى)
.. أبعدى يديك الغليظتين الكبيرتين عن لمس
العربة ، اذا سمحت يا مدام ، ودعيني أقول لك
— متجاوزة حد السلوك الحميد — يا مسز

(١) القيثارة والشمرك ، وهى زهرة مثلثة الأوراق ، هما
شعار الايرلنديين القومى .
(٢) شعار التاج الانجليزى .

يرجس ؛ انه مما يدهش چینی جوجان كثيرا
أن مغنية ممتازة للأناشيد الدينية مثلك تهبط
بأفكارها من التفكير السماوى لتمد ذراعها
بطريقة المحتال لتسرق أى شيء تائه فى فوضى
المعركة التى يشنها أبناؤنا من أجل حرية
وطنهم !

بيتر : (يضحك ويفرك يديه معيا) .. هىء ؛ هىء ؛ هىء ؛
هىء ، هىء ، هىء ؛ سآذهب معكما وأساعدكما .

مسز جوجان : (بلفتة سريعة من رأسها وهى تدفع العربة الى
الأمام) .. اصعد الى العربة وسندفعك .

بيسى : (لمسز جوجان) .. ان العوز والمتاعب قد بعث

بيسى بيرجس على البقاء مع رفقة غريبة ، لكنها

تعرف دائما أولئك الذين عليها أن تعيش معهم

من وقت النوم حتى الصباح ، وتستطيع أن

تخبرهم ، وفى صميمها دائما ندم مسيحي ، أن

حب السرقة والاختلاس سيجعل روحها فى

غربة ، وأن نيتها الآن هى النية الطيبة لالتقاط

أى شيء ملقى به ومبعثر فى فوضى حالة النهب !

(في هذه الاثناء يختفيان عن النظر . بيتر
يتبعهما عندما يدوى مدفع كبير على البعد
فيدفعه على التوقف) .

بيتر : يا الهى القدير ، هذا هو المدفع الكبير مرة
أخرى ! يا الهى لتمنع عنهم أى أذى يلحق بهم ،
ولكننى لا أرى بأى ما إذا ما مسهم قليل من
الأذى أثناء محاولتهم للتهورة للنهب والتدمير .

(ينظر لحظة الى الشارع ، ثم يجرى
الى باب صالة المنزل الذى كان مفتوحا ،
ويقلعه بدفعة حاقدة ، ثم يتجه الى الكرسي
الذى كانت تجلس فيه موليير ، ويجلس ،
ويخرج غليونيه ، ويشعله ويبدأ فى التدخين
ورأسه منتصب فى وضع متكبر . الكوفى
يقبل مترنحا وهو يحمل على ظهره حقيبة
من الدقيق وزن عشرة أرطال وعليها
فخذ خنزير ، يمشى نحو الباب ويدفعه
برأسه ، ويجد أنه لا يستطيع أن يفتحه ،
يدور قليلا ناحية بيتر) .

الكوفى : (لبيتر) من الذى أغلق الباب ؟ .. (يركل
الباب بقدمه) هيا تعال ، واقفح ، أرجوك ؟
لأنها ليست حقيبة يد فتاة تلك التى أحملها على
ظهري .

بيتر : الآن ، يا صديقي الكوفي ، أظن أنى سأصبح
خادما لك ؟

الكوفي : (يغضب) هل ستفتح الباب ، أيها —

بيتر : (صائحا) لا تسألنى أن أفتح أى باب ،

لا تسألنى أن أفتح أى باب لك .. يا من تجلب

العار والخطيئة للقضية التى يجارب من أجلها

الرجال الطيبون .. أوه ، يغفر الله للناس الذين

بدلا من أن يمجّدوا العمل الذى يؤديه القتيان

اليوم بأمانة وصبر فى صمت ، يهينون تضحياتهم

بفوضى النهب والاحتيال !

الكوفي : ألا تكاد عينك تقفز أن رأسك حسدا لأنك

ليست لديك الشجاعة لتتال قليلا من الأشياء

التي يعطيها الله لعباده المختارين ؟ .. أيها المنافق

العجوز لو أصاب الناس العمى لسرقت صليبا

من على ظهر حمار !

بيتر : (بهدوء بالغ) لن تجعلنى أفقد أعصابى ،

تستطيع أن تستمر فى وخزك بقدر ما تجب ،

افعل ما فى وسعك ، هـى ، هـى ، هـى ! لن أفقد

أعصابى .

(يفتح شخص ما الباب ، ويدخل الكوفي)

الكوفي : (من الداخل ساخرا) .. كوكوو .. وو !
بيتر : (يجرى الى الباب ويصيح باقعال ملتهب ، وهو
يتبع الكوفي الى الداخل) أيها اللقيط القذر
التحيف الطويل كلوح الخشب .. (يتبعه الى
الداخل) اللقيط القذر ، اللقيط القذر !

(تدخل بيسي ومسز جوجان ، تضيء
وجهيهما خيلاء فرح عظيم . بيسي تدفع
العربة ، المملوءة بالثياب والأحذية ، فوق
الأحذية والملابس منضدة مزخرفة تمسكها
مسز جوجان بيدها اليسرى بينما تمسك
بيدها اليمنى كرسيًا فوق رأسها ..
تسمعان وهما يتحدثان معا قبل أن
تدخلتا .

مسز جوجان: (بالخارج) .. لا أذكر أنني قد رأيت أبدا
أحذية في مثل هذا الجمال (تظهران) بيوز مدبب
وكعوب مربعة .

بيسى : ستبدو عظيمة مع الثياب التي نصلحها ، عندما
تنتهي من حياكة قطعة من الحرير لرفع الصدر
قليلا الى أعلى ، حتى تكون محتشمة وتصبح
مناسبة لنساء لم ينسين أنفسهن في عرى هذا
الزمان .

(تحملان الكرسي والمنضدة وبعض البضائع
الآخري إلى الداخل في جلبة ، ثم تعودان
لاحضار البقية) .

بيتر : (عند الباب ، في مرارة لمسز جوجان) .. أى ،
أنت .. مولسز تبدو وكأنما سيغمى عليها ،
وصغيرك يصرخ متشنجا في حجرها .

مسز جوجان : (في حلة) .. انها لا تبدو الا في حالة اغماء !

(تهم بالدخول ويبن ذراعيها بعض الأشياء
عندما ترن طليقة بندقية .. تركض هي
ويبسى نحو الباب الذي يحاول بيتر في
حالة ذعر اغلاقه قبل أن تدخل) .

مسز جوجان : اى ، اى ، اى . أيتها العجوز الأحمق الجبان ،
ما الذى يدعوك لأن تحاول اغلاق الباب دوننا ؟

(تتراجعان إلى الداخل في هرج . (صمت)
ثم يدخل الكاتب برينان وهو يسند
الملازم لانجون الذى يلف ذراعه حول
رقبة برينان . وجه لانجون يبدو شاجبا
كالوتى ، ويتقلص بين لحظة وأخرى في
تشنجات متألّة . وهو في حالة من الانهيار ،
ويكاد برينان يحمله . بعد لحظات قليلة
يتبعهما كليثرو ، شاجبا ، وفي حالة من
العصبية الساكنة ، تلتفت وراءه إلى

الناحية التى جاء منها ، وفى يديه بندقية
فى وضع الاستعداد .

الكاتبين برينان: (لكليشيرو فى عنف) .. لماذا أطلقت النار فوق
رءوسهم ؟ لماذا لم تطلق النار لتقتل ؟

كليشيرو : لا ، لا ، يا بل ، مهما بلغوا من السوء فهم رجال
ايرلنديون ونساء ايرلنديات ..

الكاتبين برينان: (فى عنف) اللعنة على كل شيء ايرلندى !
يهاجمون ويفتكون بالرجال الذين يخاطرون
بحياتهم من أجلهم . لو تجمع حشالة الأكواخ
هؤلاء حول أقدامنا مرة أخرى ، فأخمد واحد
منهم ، والا فانتى سأصدمهم بنفسى على الفور
بطلقة أو طلقتين !

الملازم لانجون: (متوجعا) يا الهى ، أليست هناك البتة عربة
اسعاف تتجول فى أى مكان ؟ .. ان معدتى
تنخلع ، أحس بها — أو — أو — ه ، يا يسوع !
الكاتبين برينان: كن شجاعا يا جيم ، لن نلبث أن نجد المعونة
الآن .

(نورا تندفع بوحشية من المنزل وتلقى
بذراعيها حول رقبة كليشيرو ، باصرار
عنيف ومبتهج .. شعرها مسدل ، ووجهها

شاحب ، لكن عينيها تومضان بوميض
الراحة السعيدة .

نورا

: چاك ، چاك ، چاك ، شكرا لله .. شكرا له .
لقد كان شفوفا ورحيما بخادمته البائسة ..
حيبي چاك ، حيبي چاك الذى ظننت أنه فقد ،
قد وجدته ، الذى ظننت أنه مات قد بعث من
جديده ! .. أود ، الحمد لله على الدوام ، على
الدوام ! .. يا حيبي چاك المسكين .. قبلنى ،
قبلنى يا چاك ، قبل حبيبتك نورا !

كليثرو

: (يقبلها ، ويتكلم بعصية) .. حبيبتى نورا ،
حبيبتى نورا ، الصغيرة ، الجميلة ، تسيت على
الله أننى لم أتركك أبدا .

نورا

: لا أهمية لذلك .. ليس الآن ، ليس الآن
يا چاك .. سوف يجعلنا ذلك أكثر محبة لبعضنا
من ذى قبل .. قبلنى ، قبلنى مرة أخرى .
: الآن ، بربك ، لا تجعلنا تتشاجر .

كليثرو

نورا

: لن أفعل ، لن أفعل ، أعدك ، أعدك ، يا چاك ،
ليشهد الله ، سأظل ساكنة وشجاعة لكى أحتمل
بهجة الاحساس بأنك فى أمان بين ذراعى مرة

أخرى .. انه لصعب أن أمنع دموع السعادة أن
تتطلق بعد نهاية عذاب رهيب .

بيسى : (من النافذة العليا) .. ان الصبية المغنيين (١)

لا يشعرون براحة شديدة الآن . لقد أطارت
المدافع كل القيثارات من أيديهم . ان الجنرال
كليثيرو يفضل أن يفك مشد زوجته بدلا من
الوقوف عند المتاريس .. والأستاذ فى ذبح
القراخ الواقف هناك يجد أنه يقف ضد شيء
أشد خشونة من فراخه ، وهذا يعنى الكثير !

الكابتن برينان : (الى أعلا متحدثا الى بيسى) اخرسى أيتها
العجوز الشمطاء !

بيسى : (الى أسفل متحدثة الى برينان) اخنق الفرخة ،
اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة !

الملازم لانجون : ناشدتك الله يا « بل » اخملنى الى مكان حيث
يوجد من يعنى بجرحى .. هل سأموت قبل أن
يتفعل شيء لا تقاذى ؟

(١) تقصد المتمردين ، وتلمح الى احدى اغانيهم التى
تدعى The Minstrel boy وكلمة Minstrel كانت تطلق
فى العصور الوسطى على المغنى أو الموسيقى وما تزال تحمل
معناها فى بعض الاستخدامات الحديثة . (المترجم) .

الكاتب بربن: (لكليثيرو) تعال يا جاك ، علينا أن نأتي بنجدة
لجيم ، هيا .. ألا تفكر فيما هو فيه من ألم ،
وخطر ؟

بيسى : اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة !
كليثيرو : (لنورا) خل عني يا حييتي ، دعيني أذهب .
نورا : (متشبثة به) كلا ، كلا ، كلا ، لن أدعك تذهب !
هيا ، اصعد الى بيتنا يا جاك ، يا حييى ،
يا غرامى ، يا زوجى ، ولسوف تنسى بضعة
الأيام الماضية الفظيعة ! .. أنا أبعد متعبة
الآن ؛ ولكن بضع ساعات من الراحة السعيدة
فى ذراعيك . سوف تعيد النضارة الى مرة
أخرى ، وسوف تصبح مسرورا ، سوف تصبح
مسرورا ، مسرورا .. مسرورا ! .

الملازم لانجون: لو أتى فقط ظللت راقدا فترة أطول ، فلربما
كنت لم أصب ! لقد هرب كل انسان ، ولكننى
شعرت بأن بطنى قد تمزقت الى شطرين ..
لم أستطع أن أصرخ ، لم أستطع حتى أن
أصرخ .. هل تظن أننى حقا قد جرحت جرحا
بالغا ، يا بل ؟ ثيابى تبدو وكأنها مبتلة جدا ..

انه دم .. يا الهى ، لا بد أنه دمنى أنا !

الكابتن برينان: (الى كليثيرو) هيا يا چاك ؛ قل لها وداعا مع
قبلة أخرى ، وضع نهاية لهذا ! هل تريد
للانجون أن يموت بين ذراعى بينما أنت تغازل
عزيزتك نورا ؟

كليثيرو : (لنورا) .. يجب أن أذهب ، يجب أن أذهب
يا نورا . آسف لأننا تقابلنا على الاطلاق ..
لا يمكن منع ذلك — كل الطرق الأخرى
قد سدها البريطانيون .. دعيني أذهب ،
ألا تستطيعين يا نورا ؟ هل تريدننى أن أخذل
رفاقى ؟

نورا : كلا ؛ لن أدعك تذهب .. أريدك أن تكون
مخلصا لى ، يا چاك .. أنا أعز رفيق لك ؛ أنا
أخلص رفاقك .. انهم فقط يريدون العزاء فى
أن يلقوا بك فى نفس الخطر مثلهم .. أوه ؛
يا چاك ، أنا لا أستطيع أن أدعك تذهب !

كليثيرو : لا بد أن تدعيني أذهب يا نورا ؛ لا بد من ذلك .
نورا : طوال الليلة الماضية عند المتاريس بحثت عنك
يا چاك .. ما فكرت فى الخطر .. كنت فقط أفكر

فيك .. لقد سألت عنك في كل مكان .. بعضهم
سخر مني .. وكانوا يدفعونني فكنت أدفعهم ..
بل ان بعضهم قد لطمني .. فكنت أصرخ ؛
وأصرخ هاتفة باسمك ! ..

كليثيرو : (في خوف من أن فعلها قد يجلب عليه العار
في المستقبل) ما الذي دهاك لتجعلى من نفسك
موضع سخرة الناس ، كهذا ؟ .. ماذا تظنين
سوف يكون شعورى عندما يقال لى ان زوجتى
كانت تدلل على عند المتاريس ؟ ماذا تكونين
أكثر من أى امرأة أخرى ؟

نورا : ليس أكثر ، ربما ، ولكنك بالنسبة لى أكثر
من أى رجل آخر يا چاك .. أنا لم أكن أقصد
أى أذى ، صدقنى ، يا چاك .. كان ذلك بالرغم
منى .. ما كان ينبغى لى أن أخبرك .. حبى لك
جعلنى أجن من الرعب ..

كليثيرو : (فى غضب) .. انهم سيقولون الآن بأننى قد
دفعتك على الخروج لأجد مبررا لاعادتك الى
البيت .. أتريدن أن تجعلى كل المخاطر تتحول
الى مواضع للسخرية ؟

الملازم لانجون: دعنى أرقد ، دعنى أرقد يا بل ، فقد سهل
احتمال الألم وأنا راقد .. أوه ، يا الهى كن
رحيما بى !

الكابتن برينان: (للانجول) بضع خطوات أخرى يا جيم ،
بضع خطوات أخرى ، حاول أن تتحمل ذلك ،
بضع خطوات أخرى .

الملازم لانجون: أوه ، لا أستطيع ، لا أستطيع ، لا أستطيع !
الكابتن برينان: (لكليثيرو) .. هل أنت قادم يا رجل ، أم أنك
تقوم بعمل الترتيبات لشهر عسل آخر ؟ اذا
كنت تنوى أن تهجر الجيش ، فقل ذلك ،
ولسوف نخرج !

بيسى: (من فوق) هاربون من الجنود الانجليز ..
اخذوا الدجاج .. هاربون من الجنود
الانجليز .. اخذوا الدجاج !

كليثيرو: (فى غف لبرينان) عليك اللعنة يا رجل ، من
الذى يريد أن يهجر الجيش ؟

(لنورا) هيا .. خلى عنى ، دعينى ، أقول لك !
نورا: (متشبثة بكليثيرو ، ومشيرة لبرينان) .. انظر
يا جاك ، انظر الى الغضب الذى فى وجهه ، انظر

الى الخوف الذى يلتصق فى عينيه .. هو نفسه
خائف ، خائف ، خائف ! .. انه يريدك أن تذهب
بالطريقة التى يحتفل معها أن يصيبك الموت
ويخطئه هو ! .. التفت وانظر اليه يا جاك ؛
انظر اليه ؛ انظر اليه ! .. ان أعماق روحه
باردة .. ترتعد من التفكير فيما قد يحدث له ..
ان خوفه هو الذى يحاول أن يفزعك ويقف
حائلا دون ادراكك الخوف الذى يعتدل فى قلبك
أنت !

كليشيو : (يجاهد أن يخلص نفسه من نورا) .. عليك
اللغة يا امرأة .. ألا تتركينى أذهب !
الكابتن برينان : (فى غف لكليشيو) .. لماذا تتضرع اليها أن
تتركك تذهب ؟ هل أنت خائف منها ؛ أم ماذا ؟
أبعدها عنك يا رجل ؛ أو انهض واجلس على
حجرها !

(يحاول كليشيو أن يبعدها عنه بعنف) .

نورا : (فى ضراعة) .. أوه ، يا جاك .. جاك .. جاك !
الملازم لانجون : (بألم شديد) .. برينان ، أريد قسا ؛ أنا أموت
فيما أعتقد ؛ أنا أموت !

كليثيرو : (لنورا) .. اذا كنت لا تريدين أن تفعل ذلك

في هدوء ، فانتى سأضطرك لذلك !

(لبرينان) . هيا أمسك أنت هذه

البندقية ، دقيقة واحدة) .

(يناول برينان البندقية) .

نورا : (بطريقة تدعو للثناء) .. أرجوك يا چاك ..

انك تؤلمنى ، چاك .. صدقنى .. أوه ، انك

تؤلم .. نى ! .. لن أتركك ، لن ، لن ! .. أوه ،

يا چاك ، لقد وهبتك كل شىء طلبته منى ..

فلا تلق بى بعيدا عنك الآن !

(يخلص قبضتها في خشونة ، ويدفعها

بعيدا عنه .. تخر « نورا » على الأرض

وترقد هناك) .

(فى ضعف) .. آه ، يا چاك .. چاك .. چاك !

كليثيرو : (يسترد بندقية من برينان) .. هيا بنا ، هيا

بنا .

(يخرجون .. تنظر ييسى الى نورا الراقدة

فى الشارع لبضع لحظات ، ثم تترك

النافذة ، تخرج وتجرى نحو نورا ، ترفعها

بين ذراعيها وتحملها فى رقة الى المنزل .

فترة ضمت قصيرة ، ثم تسمع من الشارع

صرخة عنيفة لسكران .. يقترب ، ثم
يدخل فلوتر محمومًا ، وحشي العينين ،
مجنونًا ، صاخبا ثملا . بين ذراعيه اناء
خزفي مليء بالوسكى .. سعته نصف
جالون ، يبرز من أحد جيوب معطفه ذراع
قميص جديد ، وعلى رأسه قبعة نسائية
زرقاء زاهية بشرائط ذهبية ، وكلها
مسروقة .

فلوتر

: (يغنى بطريقة محمومة) فلوتر فتى عظيم جدا ! ..
فلوتر فتى عظيم جدا .. يحيا المتمردون ! ..
ذلك شيء لا يستطيع أن يتكره أحد ! (يطبل
على الباب) ليحضر لنا بعضكم ، أو أحدكم ،
قدحا أو ابريقا ، أو شيئا ما ، هل ستفعلون ،
قبل أن أصرع واحدا منكم ! .. (ينظر الى
الشارع) . اصخبوا ، وأطلقوا النيران فلن يهم
فلوتر شيء .

(يثق الباب بعنف) . لينزل أحدكم ويفتح
الباب ، واحد منكم ؛ هل ستفعلون قبل أن
أصرع واحدا منكم ! ... فلتهو المدينة كلها
الى الجحيم ، من أجل فلوتر !
(تسمع في داخل المنزل صرخة تطلقها
نورا ، يتبعها أنين) .

(فلوثر يغنى فى غيظ) :

ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد ، ذلك شيء
لا يستطيع أن ينكره أحد ،

لأن فلوثر فتى عظيم جدا .. لأن فلوثر فتى
عظيم جدا .

فلوثر فتى عظيم جدا .. يحيا المتمردون !

ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد !

(تسبب حركاته المتهاجة فى اراقة بعض
الويسكى من الاناء) .

عليك اللعنة يا فلوثر ، لا تسكب الخمر
النفيسة ! .

(يركل الباب) .. اى ، ليحضر لنا أحدكم
أو بعضكم قدحا أو ابريقا أو شيئا ما . قبل أن
أصرع واحدا منكم !

(ينفتح الباب فجأة ، وتخرج بيسى ،
وتقبض عليه من يافته) .

: (فى غيظ) . أيها الحقير ، كف عن هذا

بيسى

العبث .. سأخلصك من ألعائك ورقصاتك
المخمورة فى الوقت الذى لا يعرف أحد فىنا

متى نصطدم بعالم لا عهد لنا به من قبل !
فلوثر : (وهي تجذبه الى الداخل) اى ، الجرة ، الجرة ،
الجرة !

(فترة صمت قصيرة ، ثم تسمع مرة
أخرى صرخة ألم تنبعث من نورا ..
يفتح الباب ، فترى مسز جوجان وبيسى
واقفتان عنده) .

بيسى : فلوثر سيذهب ، انه فقط قد أسرف في
الشراب .. أوه ، يا الهى ، أو ليس مؤسفا أنه
ثمل بهذه الدرجة ! علينا أن نحاول احضار
طبيب من مكان ما .

مسز جوجان : أنا أخاف أن أذهب .. والى جانب ذلك فحالة
مولسر سيئة جدا . لا أظن انكم تجدون طبيبا
يقبل أن يجيء .. لا تكاد تكون هناك فائدة
من الذهاب .

بيسى : (فى تصميم) .. سأغامر بذلك .. أعطوها قليلا
من ويسكى فلوثر .. انه الخوف الذى جعلها
تتدهور بهذه السرعة .. عودى اليها ، أنت .

(تدخل مسز جوجان ، وتطلق بيسى
الباب فى رفق . تتحرك الى الأمام ، بينما

صوت طلقات بندقية ، وصوت طلقات
لمدفع رشاش بعيد يوقفها فجأة ، تحجم
لحظة ثم تحبك شالها حول جسمها ،
كانما هو درع ، ثم تمضي الى الخارج في
ثبات وسرعة .

بيسى : (وهي خارجة) . أوه ، يا الهى ، كن أنت
معينى فى وقت الشدة وظللنى بسلام فى ظل
أجنحتك .

ستان

الفصل الرابع

حجرة جلوس ييسى بيرجس . وهى احدى حجرتين صغيرتين فى الطابق الأعلى (الاخرى ناحية اليسار تستخدم كحجرة نوم) . السقف ينحدر من الخلف الى الامام معطيا الشقة مظهرا من الضيق المضغوط . فى وسط السقف نافذة صغيرة . يوجد جو واضح من الفقر الذى يكاد يصل الى حد الاملاق . الورق الذى يغطى الجدران قد تمزق وتلطخ ، وخاصة قرب المدفأة حيث يجرى الطهى وقرب المفصلة حيث يجرى الفسيل . المدفأة تقع ناحية اليسار . مقعد صغير قرب المدفأة . الى الخلف نافذة صغيرة . احد مصراعى هذه النافذة كسر من اثر اختراق رصاصة . تحت النافذة الى اليمين نعش من خشب البلوط موضوع على مقعدين من مقاعد المطبخ . بالقرب من النعش مقعد بدون مسند مصنوع محليا عليه شمعتان موقدتان . الى جوار النافذة خزانة اوان بالية عليها عدد قليل من الصحن . تتدلى على النافذة بقايا مهتلة من ستائر الدانتيل الرخيصة . بالقرب من النافذة ناحية اليسار مصباح بقاعدة نحاسية وعليه غطاء ملون ، وقرب النافذة نفسها علق على الحائط ثوب حريرى قمرى زاه ، والمصباح والثوب كلاهما مسروق . الى اليسار باب يؤدى الى غرفة النوم وفى مواجهته باب آخر يفتح على بقية البيت . الى يسار هذا الباب حوض غسيل مشترك .

أبريق من الصفيح ، شديد السواد ، ووعاء قديم للطهي داخل حاجز المدفأة . ليس في الحجرة ضوء فيما عدا الضوء المنبعث من الشمعتين ومن المدفأة .

الفسق حل منذ فترة ، ويمكن رؤية وميض الأبنية المحترقة في المدينة من خلال النافذة على الأفق البعيد .

الكوفي وفلوثر يلعبان الورق ، جالسين على الأرض على ضوء الشمعتين الموضوعتين على المقعد قرب النعش .

يرتفع الستار على الكوفي وهو « يفنط » الورق ، وبيتر يجلس بطريقة جامدة وقورة بجواره . وفلوثر راحع بجانب النافذة ينظر منها في حذر .

بضعة أيام تنقضي بعد الفصل السابق

فلوثر : (يطل خلسة من النافذة) فتطه جيدا .. السماء

تزداد احمرارا أكثر فأكثر .. انك لتحسب أنها مشتعلة .. لا بد أن نصف المدينة يحترق .

الكوفي : لو كنت منك يا فلوثر ، لابتعدت عن هذه

النافذة .. انها خطيرة ، وبالإضافة الى ذلك فانهم

ان رأوك ، فانك لن تجلب على المنزل

الا المتطفلين .

بيتر : نعم ، وهو يعلم أننا اضطررنا لترك بيتنا لأنهم

كانوا يمشرونه بوابل من نيران المدافع

الرشاشة .. لسوف يستمر في وضاعته حتى

نضطر الى الفرار من هذا المكان أيضا .

فلوثر

: (سخرية) إذا قاموا بأي هجوم هنا ،

فسنرسلك الى الخارج في حلتك الخضراء التي
تتباهى بها ، وأنت تلوح بسيفك فوق رأسك ،
وسوف يفرون أمامك كما فر الدافماركيون
أمام بريان بورو-!

الكوفى

: (واضعا الورق على الأرض بعد أن فنطه)

تعال ، اقطع .

(يأتى فلوثر ويجلس على الأرض ، ويقطع
الورق .

(الكوفى بعد أن فرق الورق) البستونى

يكسب مرة أخرى .

(نورا تئن بضعف فى الحجرة ناحية اليسار)

فلوثر

: ها هي ، لقد بدأت مرة أخرى .. لقد ظلت

هادئة مدة طويلة ، على أية حال .

الكوفى

: كانت هادئة من قبل ، بالتأكيد ، وانفجرت مرة

أخرى أسوأ من ذى قبل .. ما هي الورقة التي

قادت اللعب فى المرة الثانية ؟

بيتر

: الثلاثة « الكوبة » .

فلوثر

: انه لاحظ سىء جدا أن تفكر فى طفلها الذى ولد

ميتا وهو يرقد هناك بين ذراعى مولس الصغيرة
المسكينة .. لقد ماتت مولس فجأة أيضا ، على
أى حال .

الكوفى : انها بالتأكيد لم تلق أى رعاية .. كيف تلقاها
والأم تقضى النهار والليل بالخارج بحثا عن
عمل ، وزوجها المسلول قد تركها بطفل ومات
قبل أن يولد !

(أصوات فى ثريم جذل ناحية اليسار فى
شارع بعيد الص ... ليب الأحمر ،
الص ... ليب الأحمر ... الاسعا .. ف ،
الاسعا ... ف !)

الكوفى : (فلوثر) .. دورك ، يا فلوثر .

فلوثر : (ينفذ الورق ويوزعه) .. سوف تحتاج نورا
لمعالجة طويل اذا كانت ستعود الى حالتها
الطبيعية .. فى يوم من الأيام .

الكوفى : الطبيب يعتقد أنها لن تعود أبدا الى حالتها
الطبيعية ، يعتقد أنه سيصيبها مس هنا ..
(يلمس جبهته) .. انها تهذى كثيرا معتقدة أنها
قد خرجت الى الريف مع جاك ، أو أنها تعد له
عشاء قبل عودته الى البيت ، أو تصرخ منادية

طفلها ولكن ذلك قد يكون من أثر المخدر الذى أعطى لها .. لست أدري ماذا كان بإمكاننا أن نفعل لولا ييسى ، التى قضت معها الليالى الثلاث الماضية ، حتى أوشكت على الهلاك .

فلوثر : كنت دائما أعرف أنه لا يوجد خطأ مشين حقا فيما يتعلق بييسى المسكينة .. (لبيتر الذى كسب لعبة) ايه ، على رسلك ، لا تكن سريعا بهذه الصورة اللعينة .. هذا ورقى .

بيتر : ماذا تعنى بورقك ، انه ورقى يا رجل .

فلوثر : (بصوت مرتفع) .. كيف يكون ورقك ؟

بيتر : (يرد بصوت مرتفع أيضا) . ألم أبدأ أنا بالاثنتين (بالدود) .

فلوثر : لا بد وأنت قد عميت يا رجل ، ألا ترى الآس ؟

بيسى : (تظهر عند باب الحجرة ، الى اليسار ، فى همس متوتر) أتريدون ايقاظها لى ثانية ، وقد نامت

لتوها ؟ اذا استيقظت فهل ستأتون وتغنوا بها ؟

اذا سمعت همسة من أحد منكم فسوف ..

أخرج أحشاءكم !

الكوفي : (هامسا) س .. س ش .. إنها تستطيع أن
تسمع كل ما يعلو على الهمس .

بيتر : (يرفع بصره الى السقف) .. ان الله الرحمن
العطوف سيحرقكما ويمزقكما يوما من هذه
الأيام !

(فلوثر يخرج زجاجة ويسكى من جيبه ،
ويتناول جرعة) ...

الكوفي : (لفلوثر) لم لا تشرب بحساب يا رجل ،
وتحاول أن تبقى رشفة للغد ؟

فلوثر : بحساب ؟ وأبقى رشفة للغد ؟ كيف بحق الجحيم
يعرف المرء ان كان هناك غد ؟ ان كان لابد أن
أموت فجأة فلأمت وهي فارغة وليس وهي نصف
مملوءة !

(لييسى ، التى جلست على كرسى عند المدفأة)
كيف حالها الآن يا ييسى ؟

بيسى : لقد تركتها نائمة فى هدوء . عندما أصغى اليها
وهى تهذى أعتقد أنها لن تصبح أبدا أحسن
مما هى عليه . فى نظراتها شيء مخيف فعيناها
لا تنظران الى الخارج كما لو كان عقلاها قد تاه

في ذكريات الماضي المختلطة .. (في نعاس)
تعتصر أفكارها .. معا .. (تهز رأسها وتجنل
متيقظة) في فكرة عيفة .. متوهمة أن الأشياء
الميتة حية والأشياء الحية ميتة .. (مجفلة)
أهذا الذي سمعته صرخة أطلقتها ؟ (بعد أن
تأكدت) يا لله ، يخيّل إلى أنني أسمع صراخا
في كل لحظة ! وهذا يحدث معي فقط لأنني
أستطيع أن أبقى متيقظة .

الكوفي : سوف تنام ، ربما ، لمدة طويلة ، الآن . اليك
عشرة .

فلوثر : وهذه عشرة . لو تنام فترة طويلة فقد تتحسن ..
لدي ييتز الخمسة الوحيدة .

الكوفي : هشت ، أظن أنني أسمع شخصا يتحرك تحت ،
مهما كان هو ، فانه سيصعد ..

(صمت . ثم يفتح الباب ، يدخل الحجرة
الكابتن برينان . وقد أبدل زيه العسكري
ببدلة مدنية . عيناه مثقلتان بوطانة
الارهاق ، ووجهه شاحب وممطوط .
ملابسه متربة وملطخة بالوحل هنا وهناك .
يستند بثقله على ظهر مقعد أثناء وقوفه .

الكاتبين برينان: مسز كليثيرو ، أين مسز كليثيرو ؟ قيل لى : اتى
سأجدها هنا .

بيسى : ماذا تريد من مسز كليثيرو ؟

الكاتبين برينان: معى رسالة .. آخر رسالة اليها من زوجها .

بيسى : قَتِل ! انه لم يقتل ، لا يمكن !

الكاتبين برينان: (يغوص مشدودا ومتألما فى مقعد) . فى فندق

الامپيريال ، لقد ظللنا نقاتل حتى اشتعل المكان .

أصابته رصاصة فى الذراع ، ثم فى الرئة ..

لم أستطع أن أفعل شيئا من أجله .. سوى

مراقبة نفسه يتردد فى لهجات سريعة مرتجفة ،

وخيطة رفيع من الدم يسيل من فمه على شفته

السفلى .. تلوت صلاة الميت ثم طويت مسبحته

حول أصابعه .. ثم اضطررت أن أتركه لأتقذ

نفسى ..

(يشير الى بعض الثقوب فى معطفه) .. انظروا

كيف مزق المدفع الزجاج معطفى وأنا أبتعد

عن المبنى وأعدو عبر الشارع بحثا عن ملجأ .. ثم

رأيت علم المحرقات والنجوم يسقط كحذيفة

عندما انهار السقف ، ولم يبق من المكان الذى

تركت فيه چاك المسكين سوى نافورة من الذهب
المتطاير !

بيسى : (بحدة تحاول كتبها) اى ، لقد تركته ! طويت
مبخته حول أصابعه ثم عدوت كالأرنب لتتجو
من الخطر !

الكاتب بربنان: لقد أخذت حظى كما أخذ حظه .. لقد لقي
مضيره كرجل . كانت آخر همة له هى قل
لنورا أن تكون شجاعة . اننى مستعد أن ألقى
ربى ، واتى فخور لأن أموت فى سبيل
ايرلندا .. وعندما سمع قائدنا ذلك .. قال
« ان نهاية القومندان كليثيرو كانت ومضة مجد .
لسوف يتقلب حزن مسز كليثيرو الى فرحة حين
تدرك أنها كانت زوجة لبطل » .

بيسى : لو أنك فقط رأيتها لعرفت خلاف ذلك .

(تظهر نورا عند الباب ناحية الشمال .
لا ترتدى سوى قميص نومها ، شعرها
الذى أهملته منذ أيام يتناثر على كتفيها
فى فوضى . يبرز شحوب وجهها نقطة
حمراء زاهية على كل وجنة من وجنتيها .
عيناه تلتمعان بوميض من كانت على وشك

الجنون ويدها تعبتان في عصبية بقميص
نومها . تتوقف عند الباب لحظة . تلقى
نظرة فارغة في أرجاء الحجرة . ثم تدخل
في بطة ، لا يلحظها الباقون حتى تتكلم) .

نورا

: (في نبرة هادئة ورتيبة) .. لا .. ليس هنا ،
يا چاك .. أنا لا أستطيع أن أحس بالراحة الا في
مكائنا الخاص المألوف تحت شجرة العوسج ..
لا بد أننا مشينا وقتا طويلا ، أحس أنني متعبة
جدا ، جدا .. أما زال غليتنا أن نسير أبعد من
ذلك ، أم هل مررنا به ؟ (تمرر يدها أمام
عينها) ضباب غريب يغشى عيني .. لم لا تسك
بيدي يا چاك .. لا ، لا ، يا چاك ليس ذلك ..
ألا تستطيع أن ترى ، انه طائر الحشون . انظر
الى جناحيه السوداوين الأملسين تخترقهما
خطوط ذهبية ، والى البقع القرمزية في رأسه ..
(في تعب) شيء ما يوجعني ، شيء ما يوجعني ..
لا تقبلني هكذا ، انك تكتم أنفاسي يا چاك ..
لماذا تبس في وجهي ؟ .. انك ذاهب (بلهجة
خائفة) .. ولا أستطيع أن أتبعك .. شيء ما

يمنعني عن الحركة .. (تصرخ) چاك ، چاك ،
چاك !

بيسى : (التي مشيت وأمسكت بذراع نورا) الآن
يا مسز كليثيرو ، الآن ، انك امرأة فظيعة اذا
نهضت من الفراش .. ستصاين بالبرد ان ظللت
هنا في هذه الثياب .

نورا : برد ؟ أشعر ببرد شديد ، ان الجو بارد هنا في
الريف .. (تنظر حولها خائفة) أى مكان هذا ؟
أين أنا ؟

بيسى : (بتدليل) أنت على ما يرام يا نورا ، أنت مع
أصدقاء ، وفي مكان أمين ألا تعرفين عمك وابن
عمك والمسكين فلوثر !

بيتر : (يهيم بالذهاب الى نورا) نورا ، عزيزتي ،
الآن ..

فلوثر : (يجذبه) .. الآن ، دعها لبيسى يا رجل .
التجهر لن يزيدها الا سوءا .

نورا : (مفكرة) .. هناك شيء أريد تذكره ولا أستطيع
(فى عذاب) لا أستطيع ، لا أستطيع ؛
لا أستطيع ! رأسى ؛ رأسى ! (فجأة تنفلت من

بيسى وتجرى نحو الرجال وتمسك فلوثر من
كفيه (أين هو ؟ أين هو ؟ أين طفلى ؟ قل لى
أين وضعته ، أين خبأته ؟ طفلى ، طفلى ، أريد
طفلى ! رأسى ، رأسى المسكينة .. أوه ،
لا أستطيع أن أعرف ما الذى بى (صارخة)
أعطني ، أعطني زوجى !

بيسى : رحمتك بنا يا رب ، أليس هذا مثيرا للثناء !
نورا : (تقاوم بيسى) .. لن أذهب وأتركك ، لن أذهب
حتى تردى الى زوجى .. (صارخة) قتلة ،
ذلك هو أتم ، قتلة ، قتلة !

بيسى : سيش . سنعيد اليك مستر كليثيرو لو أنك
فقط رقدت ولزمت الهدوء .. (تحاول أن
تدخلها) تعالى ، هيا ، يا نورا ، وسوف أغنى
لك أغنية .

نورا : أحس كما لو أن حياتى تحاول أن تشق طريقها
للخروج من جسدى .. لا أكاد أستطيع التنفس ..
انى خائفة ، انى خائفة ، انى خائفة ! يربك ،
لا تتركينى يا بيسى . أمسكى يدى ، ضعى
ذراعىك حولى !

فلوثر : (لبرنان) الآن يمكنك أن ترى ما هي فيه ،

يا رجل .

بيتر : وكيف يكون حالها اذا سمعت أن چاك قد

مات ؟

الكوفي : (لبيتر) اخرس أنت يا رجل !

بيسى : (لنورا) يجب أن نكون شجعانا ، وندع الصبر

يقطع ثقل الساعات البطيئة الحركة ، متذكرين

أن الأسى قد يستمر ليلا ، لكن الفرح يأتي في

الصباح .. تعالى ندخل ، وسأغنى لك ،

وسترتاحين في هدوء .

نورا : (تتوقف فجأة وهي في طريقها الى الحجرة) أنا

وچاك سوف نخرج الى مكان ما هذا المساء .

أما الى أين فهذا ما لا أعرفه .. أليس غريبا

أنى لا أستطيع أن أتذكر .. مورا ، مورا ،

چاك ، ان كان المولود بنتا ، فأى اسم تحب ،

وان كان المولود ولدا ! .. انه هناك (صارخة)

انه هناك ، وهم يريدون أن يردوه الى !

بيسى : ص .. ص .. ش ، يا حبيبتى ، ص .. ص .. ش ..

لن أغنى لك اذا لم تلزمى الهدوء .

نورا : (تمسك ييسى فى عصبية) امسكى يدى ،

امسكى يدى ، وغنى لى ، غنى لى !

ييسى : ادخلى وارقدى ، وسأغنى لك .

نورا : (بحدّة) غنى لى ، غنى لى ، غنى ، غنى !

ييسى : (تغنى وهى تقود نورا الى داخل الحجرة) :

أرشدنى أيها النور العطوف ، وسط الظلمة
المكتنفة .

قدنى فى طريقى

الليل ظلام ، وأنا بعيدة عن بيتى

قدنى فى طريقى

ثبّت خطاى ،

لا أطلب أن أرى المشهد البعيد — خطوة واحدة

حسبى .

ما دمت قد باركتنى ، فلا شك أنك ستظل

تقودنى فى طريقى .

(تدخلان) .

ييسى : (تغنى فى الحجرة) :

عبر البرارى والآجام ، فوق الصخرة الشامخة ،

والسيل الجارف ، حتى ينقضى الليل .

وفي الصباح تبسم هذه الوجوه الملائكية

التي أحببتها طويلا . وفقدتها حينا !

الكوفي : (لبرينان) الآن وقد رأيت مدى سوء حالها ،

وانت لا نجرؤ أن نخبرها بما حدث حتى

تتحسن ، فالأفضل أن تنسل عائدا من حيث

أتيت .

الكابتن برينان : ليست هناك فرصة الآن لأن أنسل عائدا ، لأن

الجنود في كل مكان : الذبابة لا تستطيع أن

تنفذ . ما كان في استطاعتي أن أصل الى هنا ،

لولا أنني عملت على ابدال ملابسى بتلك التي

ألبسها .. على أن أغتتم الفرصة ، وأستتر هنا ،

وأحاول أن أختبئ هنا بعض الوقت .

الكوفي : (خائفا) لا يوجد هنا مكان للاختباء .. الجنود

الانجليز سيدخلون هنا في أية لحظة !

بيتر : (مرعوبا) وعندئذ سنقع جميعا في مأزق !

الكوفي : يا الهي ، كفانا ما نحن فيه من أحداث !

فلوثر : (محذرا وهو يصغى) هشت ، هشت ، كلكم .

أحسب أنني سمعت رنين كعب بندقية على أرضية

الصالة التي تحتنا .. (الجميع ينتبهون) هيا ،
لنستأنف اللعب بـ سأوزع أنا ..

(يفتط الورق ويوزعه على الجميع) .

فلوثر : الشباتى هو الذى يكسب . (لبرينان) حاول أن
تمنع ارتجاف يديك ، يا رجل .. لتبدأ أنت
يا پيتر (بينما پيتر يلقي بورقة) .. الأربعة
الكوبة هي التي بدأت ..

(يفتح الباب ويدخل العريف ستودارت
من فرقة ويلتشايرز مزودا بكل معدات
القتال ، خوذة من الصلب ، وبندقية
وسونكى ، وعدة الخندق . ينظر فى أرجاء
الحجرة . صمت وسكوت ملبوس .

فلوثر : (يقطع السكوت) عشرين وخمسة .

العريف ستودارت : هاللو (مشيرا الى النعش) أهذا هو الميت ؟

الكوفى : نعم .

العريف ستودارت : من سيذهب معه ؟ شخص واحد فقط مسموح
له بمرافقته كما تعرفون .

الكوفى : أنا لا أعرف .

العريف ستودارت : أنت لا تعرف ؟

الكوفى : أنا لا أعرف .

حاصرناهم ، ونحن الآن نضيق الخناق على
الملاعين ، أوه ، لم يكن الأمر يتعدى مناوشات .

(يسمع أزيز حاد لطلقة من بندقية
القناصين تتبعها صيحة ألم) .

أصوات ناحية الشمال : (مترنمة) .. الص .. ليب الأحمر ، الص .. ليب
الأحمر ! الاسعا .. ف ، الاسعا .. ف !

العريف ستودارت : (فى افعال) أيها المسيح .. ذلك رجل آخر

من رجالنا أصابه ذلك القناص اللعين ! انه
يتجول هنا فى مكان ما . يا الله ، عندما نمسك
بالملعون ، فسوف نضربه بالسيوف ، أجل
سوف تفعل ذلك . سوف نلكز بطنه حتى
نخرجها ، ستفعل ذلك !

(تدخل مسز جوجان دامعة العينين ،
وفخورة بعض الشيء للأهمية التى يضيفها
عليها الموت !)

مسز جوجان : (لفلوثر) لن أنسى أبدا ما فعلته من أجلى ،
يا فلوثر ، بتجولك مخاطرا فى ذلك بحياتك
لتسوية كل شئ مع الحانوتى والمشرفين على
المدافن .. وبينما كان كل أهلى يخافون أن

يخرجوا أنوفهم جازفت أنت ، أيها الشخص
الطيب ، خلال أزيز الرصاص وهم يطلقون
النار من الطريق ، فترن مخترقة النوافذ
الخائفة ، فتتكسر الى شظايا على الحوائط !
وسوف تجد أن مولسر ، في المكان السعيد الذي
ذهبت فتتكسر الى شظايا على الحوائط !
وسوف تجد أن مولسر ، في المكان السعيد الذي
ذهبت اليه ، لن تنسى أن تهمس ، بين الحين
والآخر باسم فلوثر .

التعريف ستودانت : اخرجيها ، يا أم ، اخرجيها .

بيسى : (من مقعدها) سوف تعذرينني يا مسز جوجان ،
لعدم وقوفي اذ ترين أن قدمي لا تستطيعان
حملني بسبب حاجتي الى قليل من النوم . اني
لا أقصد أن أظهر عدم احترام لمولسر الصغيرة
المسكينة .

فلوثر : بالتأكيد ، نحن جميعا نعلم ، يا بيسى ، أن
العكس صحيح بالنسبة لك .

مسز جوجان : (لبيسى) في الواقع ، أنى أنا نفسى قد سجلت
جيذا ، يا مسز بيرجس ، كل المرات الطيبة التي
هرعت فيها لمعونة صغيرتي مولسر ، عندما

فلوثر : (بعد صمت محرج) ان الهواء فى الشارع
بالخارج يرتج بطلقات البنادق والمدافع
الرشاشة .. لابد وأن هذه لحظة خطيرة فى
القتال .

التعريف ستودارت: اننا نمطرهم بوابل من الرصاص من كل مكان

الآن ، ولن يلبثوا أن يرفعوا الراية البيضاء .

بيتر : (بصيحة) أقول لكم . ان واحدا منكما أيها

القذرون يستطيع أن يقوم بحمل النعش خيرا

من بيتر ، أتسخران منى ، وتلكزائنى وأنا أساعد

فى حمل جثة !

فلوثر : لم يكن أمرا مشينا جدا أن يقول الكوفى انك

تستطيع أن تكون حامل نعوش أفيق ، أم أن

هذا غير صحيح .. ؟

بيتر : (فى ثورة) زوج من التافهين الحاقدين ..

يفكران من الصباح حتى المساء فى فرصة لخلخلة

طبيعة رجل هادىء يحاول دائما أن يطرد من

نفسه أية فكرة شاردة تتضمن حقدا على أخيه

الانسان !

الكوفى : أوه ، أغلق فمك ، أغلقه ، أغلقه !

بيتر

: طالما أنا رجل حى مسئول عن أفكارى ؛
وكلماتى ، وأعمالى أمام الكائن الأعلى ،
فسأشعر بأنى ملزم بأن أحارب ضد الأساليب
المنحدرة لزواج من الأفاقين ، يتهامسان ،
ويتلاقيان ، ويدبران ، ويكيدان معا ليجعلانى
أفقد احساسى بالحياة التى أحاول أن أحيها !
العزيز ستودارت: (مندهشا) .. ما هى المشكلة أيها الوالد ، ماذا
فعلا لك ؟

بيتر

: (للعزيز بعنف) .. اهتم بشئونك الخاصة !
ما شأنك أنت بمشكلتى ؟

بيسى

: (فى همهمة نعسانة) .. هل حاولتم أن تلتزموا
الهدوء ؟ انكم ستوقظونها .. لى .. مرة ..
أخرى .

(تنام)

فلوثر

: هيا ، يا أولاد ، لنستأنف اللعب ، ولا تلقوا
بالا اليه .

العزيز ستودارت: لا فائدة من أن تستأنفوا اللعب ، فسوف
تخرجون من هنا بمجرد حضور الجاويش .

فلوثر

: نخرج من هنا ؟ ولماذا سنخرج من هنا ؟

الجاويش تنلى : (للعريف) هل هؤلاء الأربعة كل من هنا ؟

العريف استودارت : أربعة ، هذا كل من هنا ، يا جاويش .

الجاويش تنلى : (فى نبرة انتقام) هيا اذن ، أخرج الملاعين .

(للرجال) هيا ، انطلقوا الى الخارج ! أخرجوا

الى الشارع ، فإذا ما قتل أحد القناصة رجلا

آخر من رجالنا فسوف تقتلون معه !

(يمسك فلوثر من كتفه) هيا ، اخرج !

فلوثر : هه ، من تظن أنك تدفع ، هه ؟

الجاويش تنلى : (بغلظة) .. هيا ، اخرج أيها اللعين .

فلوثر : من ذا الذى تصفه باللعين هه ؟ أنا رجل من

دبلن ، ولدت وتربيت فى المدينة ، أتفهم ؟

الجاويش تنلى : لا يهمنى لو كنت بريان بورو نفسه ، اخرج ،

اخرج .

فلوثر : (يتوقف أثناء خروجه) .. يا يسوع .. أتمم

وبنادقكم ! اتركنا بنادقكم وسوف أضربكما

أتما الاثنين بدون أى مشقة !

بيتر وبرينان والكوفى وفلوثر ، يخرجون

يتبعهم الجنديان . بيسى غارقة فى النوم

على الكرسي بجوار المدفأة . بعد لحظة

صمت ، تظهر نورا عند الباب ، ناحية

الشمال ، فى قميص نومها .. تبقى عند الباب بضع لحظات تنظر فى ارجاء الحجرة، نظرات مبهمه ثم تدخل فى هدوء ، وتتجه الى المدفأة وتقلب النار وتضع فوقها الابريق . تفكر لبضع لحظات وقد ضغطت يدها على جبهتها .. تنظر متسائلة الى النار ، ثم الى الخزانة فى الخلف .. تذهب الى الخزانة وتفتحها وتخرج مفرشا متسخا وتنشره على المنضدة ثم تضع أدوات الشاي عليها) .

نورا : يخيّل الى أن الحجرة تبدو فى غاية الغرابة على

نحو ما .. كدت أن أنسى شاي چاك .. آه ، أظن

أنى سأنتهى من عمل كل شىء قبل أن يعود ..

(تترنم بصوت خفيض وهى تعد المائدة) :

أزهار البنفسج كانت تعطر الغابة ، يا نورا ،

معلنة عن سحرها للنحلة ..

عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك يا نورا

وقلت انت انك تحبيننى أنا وحدى !

أزهار الكستناء تألقت خلال فرجات الشجر

يا نورا ،

وهزار صدح عاليا فوق شجرة ،

بيسى : هش .. س .. ش ، نورا ، نورا ! سيكون هنا
بعد دقيقة . سأحضره لك اذا أنت فقط التزمت
الهدوء .. أشهد الله أنى سأفعل ..

(تدفع بيسى نورا بعيدا عن النافذة بجهد
كبير ، وتدفعها القوة التى بذلتها الى أن
تستند مترنحة على النافذة . تنوى
طلقتا بندقية فى تتابع سريع . يهتز جسد
بيسى بتقلص ، وتقف متصلة لحظة ، وفى
وجهها نظرة دهشة معذبة ، ثم تترنح
الى الأمام ، مستندة على المنضدة
بيديها) .

بيسى : (بصرخة مكبوتة من الخوف والألم) أيها
الاله الرحيم ، لقد أصبت ، لقد أصبت ، لقد
أصبت ! .. الحياة تنساب خارجة منى !
(لنورا) لقد نالنى ذلك بسبب .. بسببك ..
بسببك ، يا عاهرة ، أنت .. يا رب ارحمنى ! ..
(لنورا) لن تقف ساكنة ، لا ، لن تفعل ،
لن تفعل ، اللعنة عليك ! انظرى الى ما أصابنى
.. انى أتلف حتى الموت ، وليس من أحد هنا
ليوقف الدم المتدفق ! (منادية) مسز جوجان ،

مسز جوجان ! فلوثر ، فلوثر ، ناشدتكم الله ،
شخص ما ، طيب ، طيب !

(تترنح مذعورة ناحية الباب ، للبحث
عن عون ، ولكنها تقع على ركبتيها ، وقد
أصابها الوهن في منتصف الطريق عبر
الحجرة ، تنحني الى الأمام وتسند
نفسها بيديها على الأرض ، نورا تقف
متصلبة وظهرها الى الحائط المقابل ،
ويدها المرتعدتان مبتعدتان قليلا عن
جانبي جسدها ، وشفتاها ترتجفان ،
وصدرها يعلو ويهبط ، تحرق بوحشية
في جسد بيسي) .

نورا : (في همس لاهت) چاك ، أنا خائفة .. أنا خائفة
يا چاك .. أوه ، چاك ، أين أنت ؟

بيسى : (متوجعة) هذا ما نلته نظير رعايتي لك نهارة
وليلة .. لقد كنت حمقاء ، حمقاء ، حمقاء !
أحضري لي جرعة ماء أيتها الشريرة ، هل
ستفعلين ؟ ان نارا تشب في دمي ! (متوسلة)
نورا ، نورا ، عزيزتي ، ناشدتك الله ، اجري
واحضري مسز جوجان ، أو فلوثر ، أو شخصا ما
ليأتني بطبيب ؛ أسرع ، أسرع ، أسرع !

نورا! : (صارخة) أخفوها ، أخفوها ، لا تدعوني
أراها ! خذيني بعيدا ، خذيني بعيدا ، يا مسز
جوجان !

(تعدو مسز جوجان الى الحجرة ، ناحية
اليسار وتندفع منها مرة أخرى بملاءة
تنشرها فوق جسد ييسى) .

مسز جوجان: (وهى تشر الملاءة) أوه ، ليكن الله فى عونها ،
المرأة المسكينة ، انها تتصلب على قدر
ما تستطيع ! مكتوب على وجهها صدمة العذاب
المفاجيء ، ويدها استحال لونهما الى بياض
الشمع الناعم اللامع ..

نورا : (فى تشييح) خذيني من هنا ، خذيني من هنا ،
لا تتركينى هنا لأنظر ، وأنظر اليها !

مسز جوجان: (تسير الى نورا وتضع ذراعها حولها) .. تعالى
معى ، يا عزيزتى ، وبوسعك أن تنامى فى فراش
مولسر المسكينة حتى نجمع بعض الجيران
ليساعدوا فى الترتيبات الأخيرة لاعداد جثمان
ييسى للدفن الموحش .

(مسز جوجان ونورا تخرجان فى بطة) .

العريف ستودارت: (الذي كان ينظر حوله ، للجاويش تنلى) شاي

هنا ، يا جاويش ما رأيك في قدح ساخن .

الجاويش تنلى : صبه ، يا ستودارت ، صبه . أيتطيع أن أسخر

من أي شيء الآن .

(العريف ستودارت يصب قدحين من

الشاي ويأخذ الجنديان في الشراب . يسمع

على البعد طلقات حادة من بندقية ومدفع

رشاش ، يتخللها صوت دوى المدفعية .

الومض الذي يرى في السماء من خلال

النافذة يسطع في حجم أكثر اكتمالا

وعمقا) .

الجاويش تنلى : ها هو الهجوم العام على مكتب البوستان .

الاسعا .. ف ، الاسعا .. ف !
أصوات تفنى في
شارع بعيد :

الص .. ليب الأحمر ، الص .. ليب الأحمر !

(تسمع أصوات الجنود عند المتراس خارج

المنزل وهم يفنون) :

لقد استنصوهم من التلال ،

لقد نادوهم من الوديان ،

ووجههم الوطن على استعداد

عندما هتف الداعي بالرجال

لا تدع الدموع تزيد من عناء الجند

وهم يمرون ،

ورغم أن قلبنا يكاد ينفطر ،

فاجعله يغنى هذه الأغنية البهيجة .

(الجاويش تنلى والعريف ستورات ينضمان

الى الكورس وهما يحتسيان الشاي) *

أبقوا مدافئ البيوت مشتعلة ،

بينما قلوبكم تهفو

ولو أن قتيانكم بعيدون

فانهم يحلمون بالوطن ،

هنالك بطانة فضية

تلتمع خلال السحاب المظلم ،

اقلبوا السحاب المظلم

حتى يعود الثقيان الى البيت !

ستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٦ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	الشقيقات الثلاث	 أنطون تشيكوف
٢ -	أعمدة المجتمع	 هنريك ايسن
٣ -	سيرانو دى بيجراك	 ادمون رويستان
٤ -	مروحة ليدى ونسمير	 أوسكار وايلد
٥ -	بفيلوبى	 سومرست موم
٦ -	الغسبان	 هنرى بك
٧ -	اليسكترا	 جان جيرودو
٨ -	توركانويه	 ر. نوساج
٩ -	السدائرة	 سومرست موم
١٠ -	شامترتون	 ألفرد ديفينى
١١ -	الأم	 كارل تشفايك
١٢ -	اللعبة الغادرة	 جون جالزوردي
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	 ماريفو
١٤ -	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	 تنسى وليامز
١٦ -	عزيزى بروتس	 ج. م. بارى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٧ -	رجل الله	جابريل مارسيل
١٨ -	هيدا جابلر	هنريك ايسن
١٩ -	سباق المشاعل	يول هارفييه
٢٠ -	كنوك	جول رومان
٢١ -	جونو والطاووس	شيبن اوكاسي
٢٢ -	دون جوان	هوليي
٢٣ -	بيت برناردا ألبا	فديريكو غرميه لوركا
٢٤ -	الفردي الكفيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥ -	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦ -	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧ -	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨ -	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩ -	أهمية أن يكون الإنسان جادا	جيمس باري
٣٠ -	دائرة الطبائير القوقازية	برتولت برشت
٣١ -	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢ -	القيشارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣ -	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤ -	زوجة مستر تانكروى الثانية	آرثر وينج بنبرو
٣٥ -	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ايسن
٣٦ -	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧ -	سييفريد	جان چيروود
٣٨ -	علماء الطبيعة	فريدريش دورنمات

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٩ -	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أوئيل
٤٠ -	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١ -	جزاء خصلاتهم	مؤمرست موم
٤٢ -	أيولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣ -	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤ -	الآله الكبير يراون	يوجين أوئيل
٤٥ -	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦ -	آل ياريت	رودلف بيزيه
٤٧ -	الزفاف الدامي	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨ -	الخطاطية	ثورنتن ويلدر
٤٩ -	اعرف نفسك	بول هرقيو
٥٠ -	القصى	ترنتبوس أفيو
٥١ -	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢ -	بيرجيت	جون جلزورذى
٥٣ -	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤ -	زيارة السيدة الجوز	فريدريش دورينمات
٥٥ -	ديدرى قاة الأحزان	جون ميلنجتون سبنج
٥٦ -	المسافر بلا متسع	جان انوى
٥٧ -	الحائلة	المرايس
٥٨ -	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩ -	أوندين	جونهولد اقرايم لسينج
٦٠ -	مينا فون بارنهلم	جان جيروود

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٦١ -	مطف الفراء	جراهات هاويمان
٦٢ -	كرنقال الأشباح	موريس دو كوبرا
٦٣ -	«صو» الذى يصنع	ليونيد أندرييف
٦٤ -	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥ -	قواعد المبارزة	لويجى برانديلو
٦٦ -	عرفوا ما يريدون	سدنى هوارد

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : مكتبة الخانجى بالقاهرة
وتطلب من المكتبة القومية هـ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الهدايا القديمة (مصر)